الذئب

في العلم والتاريخ

د. فضل بن عمار العماري

كتاب المجلة العربية
274

الذئب

في العلم والتاريخ

المؤلف

د. فضل بن عمار العماري

كتاب المجلة العربية
274

رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

الرياض. طريق صلاح الدين الأيوبي)الستين(. شارع المنفلوطي
هاتف: 4777943. 4767345 فاكس: 4766464
ص. ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com

ⓒ المجلة العربية، 1440هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العماري، فضل عمار
الذئب في العلم والتاريخ. / فضل عمار العماري.- الرياض، 1440هـ
180ص؛ 14× 21سم.- (كتاب المجلة العربية؛ 274)
ردمك: 978-603-8204-79-5
1 - الذئاب أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي 559.14442 1440 /9191

رقم الإيداع: 1440 /9191
ردمك: 978-603-8204-79-5

المحتويات

الفصل الأول: الظهور الجيولوجي للذئب 9
الفصل الثاني: الاكتشافات الجيولوجية للذئب 25
الفصل الثالث:أنواع الذئاب وترتيبها الطبقي وهيئاتها وحالاتها 41
الفصل الرابع: الذئب العربي Canis Lupus Linnaeus 63
الفصل الخامس: الهيئة الجسمية وحالاتها 73
الفصل السادس: المـوت 85
الفصل السابع: الحِمـى 95
الفصل الثامن: الحياة الاجتماعية للذئاب 99
الفصل التاسع: الغـذاء 119
الفصل العاشر: الصيـد 127
الفصل الحادي عشر: التناســل 135
الفصل الثاني عشر: علاقة الذئاب بالحيوانات والطيور الجارحة والإنسان 149
الفصل الثالث عشر: صيد الذئب 163
المصادر والمراجع 177

الفصل الأول

الظهور الجيولوجي للذئب

تمهيد

بداية البحث العلمي في حياة الذئاب البيولوجية

قـام الدكتـور أدولف موري عام 1940م في ألاسكا، بـأول محاولة في البحث العلمـي الجاد في حياة الذئاب البيولوجية، ثـم توالت الدراسات العلمية في سلوك الذئاب، فأصبحنا الآن على إدراك أفضل مما مضى.

ولكـن لا بد مـن التنبيه إلى أن مجمـل استنتاجاتنا جـاءت عن ذئاب تحت الدراسـة في الحجز، أما الدراسات الميدانيـة فكانت تُطبّق على الذئاب من خلال المراقبة من منطقة بعيدة أو جوّاً.

العصور الجيولوجية

العصر الكربوني

تشكلت في هذا العصر أكبر مناطق الغابات وأعظمها والشعاب المرجانية المتحجرة، كما تميز بانتشار المستنقعات، ويرجع معظم حقول الفحم اليوم في كل من أمريكا الشمالية وأوروبا إلى هذا العصر. كما أن هناك شواهد تؤكد حدوث بعض العمليات الالتوائية التي كونت المرتفعات في بعض أجزاء العالم. وتميزت القارة القديمة جندوانالاند بانتشار (الثلاجات) التي تحركت من مركزها الهائل من وسط هذه القارة.

العصر الديفوني

تكونت في هذا العصر أكبر مناطق قارات العالم الجافة، كما سادت الإرسابات الرملية كنتيجة لنشاط التعرية التي تعرضت له المرتفعات التي تكونت من قبل، وتميز بوجود المسطحات المائية الضحلة واللاجونات التي خلفت إرساباتها في تكوينات هذا العصر ممثلة في حفريات من الأسماك. وهناك شواهد مؤكدة على أن الحياة النباتية الأولية كانت من سمات هذا العصر.

العصر السيلوري

تكونت في هذا العصر أعظم الأحواض الرسوبية سمكاً واتساعاً، ويميز إرسابات هذه الأحواض العديد من الحفريات البحرية.

إن سلاسل الجبال التي تمثل الحركة الأرضية الكاليدونية، تكونت في لوراسيا، التي تميزت فيما بعد بانتشار العديد من التكوينات الجراتيتية.

العصر الأردوفيشي

سادت تكوينات هذا العصر حفريات من المفصليات تؤكد وجود حياة بحرية مهمة، وتستقر الإرسابات البحرية أسفل هذه التكوينات، كما تؤكد الشواهد الجيولوجية وجود نشاط بركاني ساد في هذا العصر، ونشطت فيه الحركات الأرضية التي تسببت في تكوين سلاسل جبلية هائلة.

العصر الكمبري

تحتوي صخور هذا العصر على أقدم البقايا الحفرية لأقدم الأحياء، ومن أشهر حفريات هذا العصر البرشيابوذ رفلوس الملائكة والمفصليات المنقرضة والرخويات، ويتميز هذا العصر بوجود تكوينات رسوبية متعاقبة ذات سمك كبير، ويعتبر هذا العصر أول عصور الزمن الأول الجيولوجي.

ما قبل العصر الكمبري

يعتبر أطول وأقدم العصور الجيولوجية التي حفلت بتاريخ معقد في مجال التكوينات الرسوبية والحركات الأرضية والنشاط البركاني وتكوين المرتفعات، وصخور هذا العصر هي أساس التكوينات الرسوبية ونواة القارات.

الزمن الجيولوجي الرباعي

يعد أكثر الأزمنة الجيولوجية تقدماً، وفيه ظهر الإنسان الشبيه وظل يمارس حياته. ولقد شهد هذا الزمن، على حداثته، تغيرات مناخية كان أهمها وجود العصر الجليدي مع وجود الظروف الدفيئة في الوقت نفسه، وبين هذين النقيضين المناخيين توفرت درجات متعددة من المناخ المتباين.

الزمن الجيولوجي الثلاثي

بـدأت التعقيـدات تظهـر في عصور هـذا الزمـن، وإن تميز بوجـود نشاط بركاني وحركات تكوين الجبال في مختلف المناطق، خاصة فيما بين عصري الباليوسين والبلوسين. وكذلك، فقد ظهرت البحار الضحلة التي تتوغل فيها دالات المناطق شبه المدارية لتمهد الطريق لظهور الحياة التي نحياها اليوم.

العصر الكريتاسي

وهـو آخر عصور الزمـن الجيولوجي الثـاني، فلقد اتسع آنـذاك بحر تثس ليشمـل امتداداً هائلاً بين الكتل القاريـة القديمة. وتؤكد الشواهد الحفرية تنوع المظاهر النباتية بشكل أكبر مما كانت عليه من قبل، كما ظهر المحيط الأطلسـي أكثر اتساعاً، ولم يبق من الكتلة الأرضية القديمة متصلاً ببعضه سوى القارة القطبية الجنوبيـة (إنترا كتيكا) وأستراليا والأجزاء الشمالية من المحيط الأطلسي الشمالي.

العصر الجوراسي

اتسع في هذا العصر المحيط الأطلسي الشمالي، وتشكلت التكوينات الرسوبية الهامشيـة علـى أطراف القارات التـي كانت قد انفصلت عـن بعضها، كما تكونـت إرسابـات بحر تثس الهائلـة في مياهه العميقة. ومـن أهم ما يتميز به هذا العصر الانفجـارات البركانية والانكسارات الهائلة التي تشكل معها المحيـط الأطلسي الجنوبـي. لقد تنوعت الحياة النباتيـة والحيوانية لتباين المظاهر المناخية آنذاك.

العصر الترياسي

وهـو أول عصـور الزمن الجيولوجـي الثاني، والذي بدأت فيـه أول حركات تزحـزح القارات عـن بعضها. وفيـه كان ظهور المحيط الأطلسـي واتساعه مصحوبـاً بانكسـارات أخدودية وانتشـار التكوينات البازلتيـة على امتداد السواحـل الشرقيـة لما هو معروف اليوم بأمريـكا الشمالية، كما تكسرت في هذا العصر قارة جندوانا القديمة التي كانت واقعة جنوب الكتلة القديمة.

العصر البرمي

تميزت مناطـق عديدة في هذا العصر بمظاهر مناخية جافة أو شبه جافة، وظهـرت البحـيرات الملحيـة العديـدة التـي نشط التبخـر فيهـا، فتشكلت الصخور الرملية الحمراء، وكذلك، فقد ساد في هذا العصر نشاط بركاني متزايـد، ولكنه كان علـى نطاق محلي، كما ظهرت فيه أنـواع نباتية جديدة وبعض الفقاريات. وكان هـذا العصر آخر العصور التـي حافظت فيه كتل بنجايا القديمة على تماسكها.

الظهور البيولوجي للذئب

يـرى العلمـاء أن الزواحف العظمى تناقصت بعد مضـي ما يقرب من 100 مليـون سنة من وجودها على وجه الأرض، ولكنها لم تنته إلا قبل 60 مليون سنـة. وليس مـن المعروف جيـداً السبب الكامـن وراء الانقراض المفاجئ والمكثف لها. ويُرجع بعض العلماء ذلك إلى التغيرات المناخية والطبغرافية. ومـع ذلـك، فما هذا إلا تخمـين يعوزه التحقيـق، وإنه لمن الغريـب أن يكون انقراض الزواحف المائية متزامناً مع انقراض الزواحف على سطح الأرض، إلا أن هذا الانقراض يظل سراً من الأسرار الكونية الغامضة، وإن ترك هذا الاختفاء فراغاً بيئياً أفاد الثديّات.

وتدل المتحجرات على أن ظهور أولى الثديات على الأرض كان قبل نحو 150 مليون سنة، خلال الحقبة الوسيطة، وذلك عندما كانت السيطرة للزواحف العظمى. وقد ظلت تعيش إلى جانبها قرابة 90 مليون سنة.

وعلى الرغم من أن الثديات عاشت دهراً على الأرض خلال تلك المدة، فإنها أخفقت آنذاك في منافسة تلك الزواحف، إذ لم يكن هناك ما يميزها عنها إلا الفك الأسفل الذي كان ذا عظم واحد، على حين كان للزواحف التامة، ثلاثة عظام. وكان مخها صغيراً جداً، لا يتناسب مع حجم جسمها، بالمقارنة مع مخ الزواحف وحجمها. ومن المحتمل أن جسمها كان مغطى بشعر أو فِراء، يمكّنها من المحافظة على حرارة جسمها.

ولكن ذلك ما يزال تكيفاً قاصراً؛ لأنها كانت تضطر إلى الخلود إلى النوم في الفصول الباردة. وكانت تبيض، كما تفعل الثديات البدائية الحية الآن مثل: الثديات ذات الأعضاء التناسلية والبولية والهضمية الوحيدة المخرج أو المسلك Monotremes، والبلاتيبوس Platypus ذي المنقار الذي يشبه منقار البطة، والذي يعيش في أستراليا، والنضناض Echidna أو قنفذ النمل. ويظهر تركيب أسنانها أنها كانت تقتات كثيراً على الحشرات. ومع ذلك، فإن أسنانها تُظهر أنها تنتمي إلى الثديات، وهي تنقسم إلى:

ذوات القواطع، وذوات الأنياب، وذوات الطواحن، وذوات الأضراس.

أما الثديات، فتَحقق لها البقاء لاعتمادها على الغذاء الكثير، وعلى فترات الطعام المتعددة. على حين كانت الزواحف تغرق في سبات طويل بعد تناول الغذاء لبضعة أيام، لكونها مجموعات متنوعة، مختلفة، متكيفة وفق الأماكن المتنوعة، ووفق نمط العيش الذي تفرضه البيئة.

وقد اضطَرّ وجودُ مناطق واسعة تغطيها الغابات الاستوائية شمال خط

الاستـواء وجنوبه، بعد أن أصبح المدار الاستوائي رطباً دافئاً؛ بعضَ الثديات إلـى التوغـل في تلـك الغابـات بحثاً عـن الحشـرات الوفيرة هنـاك. وهي الحيوانـات ذات فصيلة القرد الـذي يشبه الإنسان، وما يـزال بعضها حياً علـى الأرض مثل ذبابة الأشجار، وهو الحيـوان الثديّ الذي يسكن الأشجار ويشبه السنجاب أو الفأر The Tree Shrew، ويأكل الحشرات.

ومن ثم امتازت الحيوانات التي تعيش بين الأشجار بإمكانات خاصة من أجل الاستمرار والبقاء، إذ كان لها أوصال Libabs تسهل عليها أغصان الأشجار.

وهكذا، أصبح من المتعذر أن يستمر طويلاً بقاء هذا النوع من الثديات التي كان عليهـا أن تتكيـف مع البراري بدلاً مـن الغابات؛ إذ لم تعـد قادرة على الدفـاع عن نفسها ضد الحيوانـات المفترسة، بل ليـس في إمكانها التحرك على السطح بسرعة. أما القردة من نوع الرباح (السعدان الأفريقي الآسيوي الضخـم، والقصير الذنب، والقبيح المنظـر baboon) والـPata فقد كانت مضطـرة إلى العيشـ على السطح أيضاً، ولكن كانت لهـا أسنان تدافع بها، وكانـت الـ Pata قادرة علـى التحرك بسرعة على وجه الأرضـ. أما القردة الشبيهة بالإنسان، فكانت أكثر تفوقاً من بقية الحيوانات، إذ كانت تصطاد الحيوانـات الأخرى وتتغذى عليهـا، سواء كانت هذه الحيوانـات صغيرة أو كبـيرة، بحسب خبرات تلك القـردة، وساعدها في ذلك تمكنها من التحايل علـى الحيوانات المجترّة الصغيرة، واستخدام أدوات يدوية لقتلها، تتمثل في أعـواد الأشجار والعظام والحجارة. وإلى جانب ذلـك إشعال النار، وإقامة مساكن تحميها، وغير ذلك مما ساعدها على الاستمرار.

وكان لهـا أصابع طويلة تمسك بها ما تتناولـه من تلك الأغصان، كما كانت قـادرة على القفز، لذا، فإن أوصالها الخلفية طويلة وقوية. أما حاسة الشم فيهـا، فكانت ذات قيمة ضئيلـة من أجل تحديد موقـع الفريسة، خاصة في

النهـار، وفي اتجاه النسيـم في الغابات، ولذلك افتقرت إلـى أعضاء الشم، بينما تميزت حاستا السمع والإبصار بالحدة والنشاط. أما خطمها (الأنف والفـكان) The Muzzel، فقصـير، وأمـا محاجرهـا، فواسعـة، وعيناهـا كبيرتـان ظاهرتان غير غائرتين. وتعتمـد اعتماداً كبيراً على تحديد موطئ القدمـين والرجلين. ولها نظـام أصوات متنوع متغير بحسـب الحاجة. كما يضبطها نظام اجتماعي طبقي.

لقـد امتازت هذه الحيوانات بالتحكم الأشمـل في ضبط الأنظمة العصبية، فهـي ذات سيطرة علـى الرؤية القريبة من الدماغ التـي تقع في منطقة المخ The Cerebral hemispheres، وأما الذكاء والتفكير، ذات العلاقة بحاسة الشـم، فتتمركزان على محيـط المنطقة التي تنتهي عندهـا الأعصاب Pe-riphery، وامتـازت أيضـاً بالخفة اليدوية ذات القـدرة الأكبر على التحكم في الآليـة العصبية Nervous mechanisms، وبقدرة على تفسير الأصوات بتحليل بارع. لهذا، فهي ذات دماغ أضخم من الدماغ الصغير الذي اختص بـه الحيـوان الثديّ الآخر، ولكنهـا لم تصل إلى حجم دمـاغ الإنسان، الذي امتـاز بالقوى العقلية التي اتصفت بقـدرات فريدة مثل: الحدس، والتعليل، والتنظير. وهكذا، لم يعد في الأدغال أو الغابات إلا عدد قليل من الحيوانات المفترسـة كالثعابـين الزاحفة، والطيور الجارحة، والنمـور، وبعض أصناف القطط، ومن ثم، تضاءل الخطر. وفي الجانب الآخر، فإن نوعاً من الثديات والقـردة الشبيهة بالإنسان كانت عاجزة عن الدفاع عن نفسها بالتجهيزات التي زودت بها غيرها، فأسنانها، خاصة الأنياب، لم تشكل خطراً يذكر، ثم إن أوصالها نفسها، لا تساعدها على التحرك بسرعة أمام الزواحف.

ويعتقـد العلمـاء أن القـرد الشبيه بالإنسـان Homimiden جـاء منذ نحو خمسة ملايين سنة إلى سبعة ملايين سنة.

وليس هناك تحديد دقيق عن المنطقة التي وجد فيها هذا القرد الشبيه بالإنسان لأول مرة. هل وجد في شرق أفريقيا، أو جنوب أفريقيا؟ وإن يكن الإجماع على أن أفريقيا هي الموطن الأول له.

وعلى الرغم من أن أول بقايا القرد الشبيه بالإنسان Australopithecus وجدت سنة 1924م، وسنة 1936م، فقد عثر في كينيا على بقايا تعود إلى 15 مليون سنة. وفي ملاوي عثر على بقايا تقع فيما بين فترة القرد الشبيه بالإنسان Australopithecus في جنوب أفريقيا وشرقي أفريقيا.

وحسب وجهة النظر هذه، التي ترى أن موطن القرد الشبيهة بالإنسان كان أفريقيا، فإن انتشاره ابتدأ من هناك، غير مكتسٍ بلباس، ويعيش في مجموعات صغيرة متنقلة، ومعتمداً في غذائه على صيد الحيوانات بأجهزته البدائية، فكان أن امتد انتشاره أولاً حتى الشرق الأقصى. وبعد مرور العصر البليوسيني Pliocene، والعصر البلايستوسيني Pleistocene، وفي هذا العصر الثاني بالذات، ابتدأ ذلك القرد الشبيه بالإنسان يزحف نحو الجزء الشمالي من الكرة الأرضية. وفي هذه الأثناء كان يأكل اللحم.

وعندما ابتدأ العصر الجليدي في التراجع، اصطاد الحيوانات كالدببة، والذئاب، وقد كان هذا القرد ذا سيطرة على المناطق التي ابتدأ يستوطنها، وإلى جانبه كانت الذئاب، والضباع في الكهوف، إلا أن القرد الشبيه بالإنسان والذئب تعايشا معاً في مراحل العصر الجليدي، فكانا يصطادان الحيوانات نفسها.

وإذا عدنا قليلاً إلى الوراء، زمن نشاط الثديات، حيث وجدت الثديات من المرتبة الدنيا ذات الأعضاء التناسلية والبولية والهضمية الوحيدة المخرج أو المسلك أو المَجْمَع Egg-laying monotremes، واستمرت معها الحيوانات

الجرابيات، أي: ذات الجراب The marsupials مثل الكنغار، وهي ذات رراب تحمل فيه أطفالها، على حين كان هناك حيوانات مشيمية Placental تحتفظ بالجنين في غشاء يخرج معه عند الولادة، نجد أيضاً استمرار الحيوانات آكله الحشرات مثل القنافذ، والخُلد Mole والحيوانات الدرداء عديمة الأسنان Edentates مثل المُدَرَّع Armadillo وهو حيوان ثديّ جنوب أمريكي من الدرداوات، لرأسه وجسمه درع من الصفائح العظيمة الصغيرة، ينكمش فيه، فيبدو على هيئة كرة إذا ما هوجم أو شعر بالخطر، وآكل النمل وإلى جانب هذه الحيوانات، كانت هناك مجموعتان كبيرتان هما: آكلة الأعشاب herbivorous وآكله اللحوم Carnivorous، ويمثل آكلة اللحوم، ما وجد من متحجرات تعرف بـCreodont وهي من أسلاف ذوات الحوافر المعروفة بـCondylarthra. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان من الصعب التفريق بين أي من النوعين، إلا أنه كان من المحتم أن يصبح أحدهما قوتاً للآخر.

وفي تلك الأثناء من مراحل الحياة على الأرض، كان سطح الأرض شديد الاستواء، وكان الطقس دافئاً ورطباً، وكانت الثديات تعيش في مناطق المستنقعات ذات الأحراش الشاسعة. ونتيجة للمتغيرات الضوئية على الأرض، الصادرة من الشمس، كان من المحتم أن تنقرض بعض الثديات، فانقرضت الحيوانات آكله الأعشاب، ذات الأقدام المفلطحة المنبسطة، وذات اللبادات، التي كانت تمكنها من المشي على الأرض الرطبة، فلا تغوص أقدامها فيها، كما كانت أسنانها ضعيفة Low-crowned تمكنها من تناول الفواكه وأوراق الأشجار.

وقد استمرت الحيوانات آكله الأعشاب الأخرى ذات الأقدام الصلبة التي تمكنها من العدو السريع والفرار من وجه الحيوانات المفترسة، كما ساعدتها

أصابعهـا القليلة علـى ذلك. فإحدى أنواع الفصيلـة الخيول، كان لها ثلاثة أصابع في كل قـدم، أكبرها الأصبع الوسطى، وكانت تعدو معتمدة على تلك الأصابـع مثل ما تمشي الخيول والذئـاب، على عكس الحيوانات التي تمشي معتمـدة على أخمص البطـن كالدببة، وإضافة إلى ذلـك كانت الحيوانات آكلـة اللحوم صغيرة الجسم، مثل حجم ابن عرس، تعتمد في الحصول على غذائهـا على الخطف والحيلة، فتتسلـل داخل الأحراش، وتختطف فريستها فجـأة. وهكـذا، كانت الحيوانات آكلة الأعشاب صغـيرة جداً، حتى إن ذلك النـوع مـن أنواع الخيول كان أكبر نوعاً ما من الأرنـب الكبير، إلا أن أقدامه أطول من الأرنب.

وعندما ابتدأت الأجواء المناخية في التغيير، وحدثت تغييرات كبرى على وجه الأرضـ، ابتدأت مرحلة جديدة من مراحـل الحياة على الأرض، فقد وقعت طوفانـات ضخمـة، أدت إلى نشوء القارات، وبرزت الجبـال، وأخذ الطقس في الجفـاف والبرودة. وعلى إثر هـذه التغييرات، امتـدت مساحات واسعة مـن الأراضي المعشبة، شملت وسط أمريـكا الشمالية حتى سيبيريا، مروراً بأوروبـا حتى سواحـل البحر الأسود. وعلى الرغم من ذلـك، فإن الأعشاب والحشائش، الصالحـة للحيوانـات آكلة الأعشـاب، كانت خشنـة وصلبة، وتحتـوي بدورها علـى مـواد كاشفـة Abrasive، وسيليكونيـة Siliceous؛ ولهذا، صعب على الحيوانات التي تفتقر إلى أسنان خاصة وأعضاء هضمية مناسبـة. الاعتمادُ على تلك الأعشـاب والحشائش. ومع ذلك، فهناك بعض منهـا استطاع التغـذي عليها؛ فلقـد أصبحت الطواحن، نتيجـة الاستعمال المتواصـل، مسطحة بحيث تمكنها من سحق مـا تأكله. ومن ثم، استطاعت تلـك الحيوانـات الاستفادة القصوى مـن نظام طريقـة الأكل التي تطورت لديها، فتحققت لها مقدرة غذائية كالتي تحققت للخيول مثلاً.

كانت الحيوانات التي تلك حالتها ضخمة ثقيلة الحركة، عاجزة عن الانفلات من قبضة الحيوانات المفترسة، ماعدا تلك التي كانت تعتمد في دفاعها عن نفسها على قرونها وبعض آليات دفاعاتها، أو تلك التي كانت تعتمد على العدو السريع، وعلى طول ساقيها وكبر قلبها، وقوة عضلاتها، مثل الخيول التي ساعدتها أقدامها على التخلص من هجمات الحيوانات البرية المفترسة، أما الحيوانات الضخمة الأخرى، مثل الفيلة ووحيد القرن، فإن ضخامتها وصلابة جلودها، حمتها من تلك الحيوانات. وقد بقيت الحيوانات البرية الأخرى من آكلة الأعشاب عرضة لتلك الهجمات إلا أن تعمد إلى الهرب والاختفاء من الحيوانات المفترسة، كما كانت القطط الوحشية وبعض أجناسها، تعتمد على خطف فرائسها في وسط الغابات.

وفي نهاية العصر البليو سيني Pliocene، عندما اجتاحت الأرض العصور الجليدية البلا ستو سينية Pleistocene Ice ages تمكنت الحيوانات المفترسة من الترصد للحيوانات الأضخم منها ومهاجمتها، حيث أصبحت عملية المطاردة أسهل وأيسر، ومن ثم عزل الحيوان المطارد عن بقية القطيع والانقضاض عليه وتمزيقه -بعد طرحه أرضاً- بأنيابها.

لقد عُثر على بقايا مترسبة لذئاب صغيرة الحجم نوعاً ما، تعود إلى أواخر عصر البليوسيني Pliocene، ثم عثر على ذئاب كبيرة الحجم جداً تعود إلى أواخر البلايستوسيني Pleistocene، حتى إن حجمها فاق الذئاب الحالية في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية.

وأهم ما يميز هذه الأنواع من الذئاب هو تجمعها على شكل جماعات منظمة خاضعة للانضباط والقيادة، وبخاصة في تقسيم أدوار الهجوم على الفريسة من حيث الترصد والمراوغة، كما أصبحت الظروف المناخية أكثر ملاءمة للسرعة والعدو واستعمال الأنياب، وإلى جانب ذلك ساعدتها جلودها

السميكة على تحمل منـاخ القطب الشمالي Arctic Climate، فكانت قادرة على النوم في الخلاء، وسط تلك الأجواء، معتمدة في غذائها على الحيوانات الميتة، والنافقة، والعاجزة المريضة، والجريحة والصغيرة الضعيفة.

ومـن المثير للدهشة أن العصر الجليـدي The Ice Age أمدّ الحيوانات آكلة الأعشـاب، بغذاء عشبي وفير، فقد تقلصت الغابـات، وغطت المياه الذائبة مـن الجليد في الصيف، مساحات برية واسعـة؛ فنشط في الأيام الأولى من البلايستوسـين Pleistocene المامـوث: وهـو فيـل ضخم انقرض، ووحيد القرن المغطى بالصوف المنقرض أيضاً، وغيرهما من الحيوانات الضخمة الأخـرى، أما في أواخـر هذا العصر، فقـد نشطت بعض الأنـواع مثل الثور الأمريكـي bison، والرنـة، والأيل، وثور المسك، الإلـك EIK: وهو ظبي كبير ضخـم، والخيـول. وعلى الرغم مـن أن العصر الجليـدي كان مناسباً جدا للذئـاب، فإن السنوات الأخيرة التـي انتشرت فيها الغابات نحو – 20.000 10.000 سنـة، كانت عائقاً شديداً لتحركاتها. وقد تمكن الذئب من الحياة على السهول الجـرداء في المناطق القطبية الشماليـة tundra plains، بعد انحسار هذا العصر، وكان غذاؤه، هو الغذاء نفسه الذي اعتاد عليه سابقاً.

ومع مـرور الزمن ابتدأ اصطدام الذئب بالإنسان، الذي لم يكن موجوداً مع القـرد الشبيه بالإنسان، فأخذ طريقه مع الإنسان، بينما راح الإنسان نفسه يستأنس الكلاب ويصاحبها.

بالجملـة، يمكـن أن يقال: إن الذئـاب تعود إلى آكلة اللحـوم الأولى -creo donts وهي النوع الذي ينتسب إليه أغلب آكلة اللحوم، وذلك قبل 100 مليون سنة. وفي حدود 55 مليون سنة ظهرت carnassials التي منها ما يسمى -Mi acis، وهـو نوع يجمع الدببة والذئـاب. وقبل 20 مليون سنة تمايزت الكلاب والقطـط عن بعضهـا. وفي نحو مليون سنـة، وفي العصـر البلايستوسيني،

بـرزت الذئاب الأولـى Proto-wolf/Canis ويقال: إنه قبل 20 مليون سنة، أي: مـن العصـر الميوسيني Miocene، بدأ ظهور الذئـب في شكله المتطور. ومن المحتمل أنه طور وسائل صيده ليحصل على الصيد عن طريق المطاردة في العصر البليوسيني Paleocene قبل 60 مليون سنة.

دور الذئب وانتماؤه

Creodonts: ذات أسنـان اللحم هي: مجموعة الثديات القديمة من آكلات اللحوم، وربما شكلت رتبة مستقلة Order.

Cynodictis: كينوديكتـس: هـي أجناس من آكلات اللحـوم تشبه الكلاب الصغيرة وعاشت في الإيوسين Eocene.

Cynodemus: سينوديموس: هـي أجناس من آكلات اللحوم تشبه الكلاب أو الذئاب الصغيرة Oligocene.

Miacis: مياسيـس: هي أجناس من آكلات اللحوم الصغيرة والشجرية، إلا أن أجسامها ممتدة Eocene.

Tomarctus: توماركتوس: هي ما ذكر عن مياسيس Miacis نفسه.

الفصل الثاني

الاكتشافات الجيولوجية للذئب

تمهيد

لقـد كان من الضروري، بعد أن أخذت الذئاب تنتشر على وجه اليابسة، أن تتكيـف مع الظروف البيئية والمناخية الجديدة الطارئة، إذ تحكمت المناطق التـي سكنتها، ونوع الغذاء الموجود فيهـا، في أعدادها، وحدَّت من انتشارها خـلال هجرتهـا الموسمية. ولذلـك، كانت أنسـب المناطق لها هـي المناطق السهليـة القطبية الشماليـة Tundra، والمناطق السهليـة العشبية، وإن كان مـن المتوقع أن تكـون أعدادها محـدودة، لما تحتاجه مـن مساحة بما تصل إلـى 100 ميل. ولكن من المدهش أن كثافتهـا في نهاية العصر الجليدي، في الغابـات والجبـال، مكّنتها مـن الانقضاض على الحيوانـات آكلة الأعشاب بسهولـة. وهكذا، أصبح توافر الغذاء من عوامل زيادة الذئاب، أو إنقاصها، إلا أن الظـروف المناخية السيئة التالية بعد بضع مئات من السنين، أدّت إلى إيجاد كثير مـن الحيوانات النافقة، والميتة، والضعيفـة، والتي أدت بدورها إلى زيادة في أعداد الذئاب، وإن كانت هذه الزيادة، أدت أيضاً إلى الصراع فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين الحيوانات المفترسة الأخرى، من جهة ثانية.

وعلـى العموم، فـإن تكاثر الذئـاب صاحبه في هذه الفـترة ضعف، ونحول، وإنهـاك، كمـا تعرضـت إلى بعضـ الأمراضـ المزمنة والحـادة، وإن كانت قدرتهـا الجسمية قـد ساعدتها على تحمل ذلك. وكانـت أكبر مضايقة لها تأتـي من الذئـاب التي تتغذى على جحورهـا. وإضافة إلـى ذلك صاحبتها للديـدان الطفيليـة المـدورة Roundworms والديـدان الشريطيـة Tape-worms، وأصبـح السُّعار والسل مرضين يصيبانها، ولا سيما ذئاب ألاسكا، وذلك عندما تبلغ أعدادها مستوى كبيراً جداً.

ومهما يكن، فإن ذئاب الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية، أخذت في الانتشار في العصر البلايسوسيني، ثم راحت تتكيف مع الظروف السيئة الجديدة. وعلى هذا النحو، يمكن ملاحظة ذئاب التِّبت، والذئاب اليابانية، التي يعتقد أنها ذات قربى بالذئب الأطلس في نصف الكرة الشمالي. وعلى هذا النحو أيضاً يتصل الذئب الأطلس في شمال أمريكا من النوع Canis lupus االذئب الأحمر Canis rufus، ويمثل الذئب ذو العرف الطويل -Canis Ju liatus maned wolf ذئابَ الغابات، حيث يوجد في جنوب القارة الأمريكية الجنوبية. أما في أقصى الجنوب، فهناك ذئاب Tierro del Fuego، وهي من نوع Canis lupus magellanicus، وفي جزر الفولكلاند هناك ذئاب من نوعCanis lupus antarctivs، وهي ذئاب أقل شبهاً بغيرها، حتى من الذئاب ذات العرف الطويل.

وفي آسيا هناك الذئب المعروف Canis lupus pallipes، وهو من الذئاب الأصغر حجماً من ذئاب الشمال، ولها لون مختلف عن الأولى، كما تختلف عنها أيضاً في السلوك والعادات، مما يعكس تكيفاً مع الظروف البيئية الآسيوية، ولهذا نجد تشابهاً بين هذا النوع من الذئاب، والذئب العربي المعروف بـ Canis lupus arabs الذي تكيف مع الطبيعة الصحروية لهذه البلاد.

ومع أن السجلات المصرية القديمة تشير إلى نوع من الذئاب في مصر والصحراء الغربية، فليس من المعروف جيداً فيما إذا كان هذا النوع من نوع ذئب الصحراء العربي، أو من نوع الذئب الآسيوي، أو أنه نوع منقرض مما كان يعيش على صيد الغزلان وغيرها، وكان يختبئ بين حشائش السافانا.

أما في الجزء الجنوبي من أفريقا، فهناك كلاب الكيب الصيادة The Cape hunting dogs، وهي مصنفة في ذلك التصنيف، وفقاً لاختلاف أنيابها

وفـترات تغذيتها، وهي معروفة بـlycaon picuts، ولكنها ليست ذئاباً مثل كل الذئـاب، وإن كانـت تصطاد في مجموعات، كمـا أن عادتها شبيهة جداً بالذئاب، ويبدو أنها تكيفت مع مناخ أفريقيا وظروف السافانا.

وهكـذا، فـإن حـدوث هـذه الهجـرات والتكيفـات تمّ خـلال الحقبـة البلايستوسينيـة، أي خـلال 100.000سنة مضت. ويثبـت هذا أن الذئاب، مـن الحيوانات التـي صمدت للظروف المناخية، فباستثنـاء القردة، وبعض الحيوانـات الصغـيرة كالفئران والجـرذان، فـإن بقية الحيوانـات الثدية عجـزت عن تكيّـف شبيـه بذلك، ولعل ذلـك يعود إلـى أن الذئـاب تعلمت كيـف تهاجم الحيوانات الأضخم منهـا في سهول القطب الشمالي والسهول المفتوحة الأخرى.

ومـمـا يجب ذكـره هـو أن الذئـاب الآسيوية تعد أحـد الأنـواع ذات الصلة المباشـرة بأكبر أنواع الكلاب الأهلية، وهي الـكلاب المعروفة بالدنجو The dingos، إذا إنها شديدة الشبه بها، فيما عدا أن هذه الكلاب أصغر، وذات لون أصفر. أما ذئاب التبت، فذات صلة مباشرة بكلاب الصيد The scent hunting hounds.

الحفريات

ليـس هناك إجماع حول نَسَب الجنـس كانيس Canis، والنوع كانيس لوبوس C. Lupus، فقـد حدد ثينيوس Thenius (سنة 1972م)، الجنس كانيس، في العصـر البلايوسيني Pliozan وجعله بين الكلب الضبع Hyanenhund، والجنس ليـكاون Lycaon في أفريقيا، وجنس الذئـب الأحمر Redwolf في أوروبـا الآسيوية. وقـد بحث نوفاك سنـة 1979 Nowak بحثـاً شاملاً عن هـذا في العصر الرباعي من العصور الحديثة للأرض، فيما يختص بتاريخ

العصر الجليـدي الوسيط Mittleren Pleistozan، وافترض أن الذئب بدأ في العصـر الجليدي الوسيط، ثم افترض أن الذئب بدأ في العصر الجليدي الأعلـى Oberen Pleistozan، في التقـدم مـن العـالم القـديم إلى العالم الجديد.

وتمثـل بقايا عظام متحجـرة، وآثار مهمة عن الذئـب في الاتحاد السوفيتي (سابقـاً)، من رواسب العصر الجليـدي المتأخر Spatpliozan فيما يسمى Chaprowo–Faunenkomplex، وهي تساير عصر Aktschagyl Meer، وحسـب ما يـرى فيريجكين Verescgin، فإن الذئـب كان موجوداً في أوروبا لاآسيويـة في العصـر الحديـث المبكر مـن عصور الأرض-Fruhen Quar-tar، وقـد عُثر في ألمانيـا وشمال شرق سيبريا، على ضفـاف نهر تشوكوتجا Tschukotschja في بـلاد الياقوتيـين، علـى عظام ذئب إلـى جانب عظام خيـل وعظام حيوانات أخـرى كالرنة ووحيد القرن، ترجـع إلى 450.000– 380.000 سنة.

وكثـيراً ما عـثر على عظـام خاصة بذئاب ضخمـة تعود لطبقـات العصور الحجريـة الوسطى في حدود 380.000–13.000، فيمـا يسمى أفق شاسار Chasar Horizont في وسـط نهـر الفولجـا إلـى جانب وجودهـا في جنوب سيبريا.

كما عثر على عظام ذئاب تعود للعصور الحجرية المتأخرة في مواقع الحفريات Palaolithischen من عصر 10.000 –130.000 سنة في الكهوف والخَلاء. وفي إنجلترا وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا والاتحاد السوفيتي (سابقاً)، جددت بقاياه كثيراً في طبقات-Achevleen، Azilie، Mousterien Auriga-cien، Solutreen، Magdalenie.. وفي الاتحـاد السوفيتـي (سابقاً) عثر عليها في مواقع أثرية Spatpalaolithischen مختلفة: في مولداو Moldaw،

وأوكرانيا Ukraine، وبلوروسلانـد Belorussland، وفي بلاد القرم Krim، وفي كاوكا. سوس Kaukasuas، كما عثر على رواسب في كثير من الأنهار في الاتحاد السوفيتي السابق.

وقد توصل فيريجاجين Verescagin سنة 1985م، بعد تحليل كثير من عظام الذئـب التي عثر عليهـا في مواقع الحفريات المتعـددة في الاتحاد السوفيتي (سابقـاً)، إلـى استنتاج أن الذئـب كان نادر الوجـود في العصور الجليدية الأولـى Unteren pleistozan، وكان أعلـى اطـرادِه قد وصـل في العصور الجليديـة الوسطـى Mittlere pleitozan، إذ شكل الذئب 14 – 18 % من الحيوانات التـي استُدل عليها. ولم يصطد الصيادون في العصور الحجرية Steinzeit مـن مناطق آخولـين Acheuleen وموستيرين Mousterien إلا في نطـاق ضيق، إذ لا تمثل عظامه إلا نسبة 3% - 9 % من عظام الحيوانات المتوحشة التي صادوها. ثم أخذ الذئب في الظهور بأعداد وفيرة في العصور الجليديـة المتأخـرة Spatpleistozan، وقـد أخـذ الصيـادون في صيـده باستمرار في Obeken Palaolithikum.

أمـا في العصـور الحجريـة الوسطـى Mittleren Holozan، فلـم يصطد الصيادون الميسولوتيـون Mesolithischen، والنيلويتيون Neolithischen في شـرق البلطيق وفي شمـال غرب روسيا الذئب إلا بأعداد ضيئلة، حيث لم تشـكل عظامـه إلا 17 - 90 % من عظام الحيوانات التـي اصطادوها. وقد عثر على بقايا للذئب بشكل وفير في العروض الوسطى Mittleren Breiten في نطاق Im–Bereich براري العصور الجليدية Pleistozanen Steppen والمروج Waldsteppen. أما في المناطق الانتقالية Intrazonale Gebieten من نوع التيغا Taigatyp، فقد كان الذئب قليل الحضور.

وأول مـا عـثر عليـه من عظـام للذئـب في شمـال أمريكا يظهـر في أواخر

الأرفنجتـون Irvington impspaten، وهو يماثـل تصدع العصر الجليدي Riss–Eiszeit. وقـد عرض نوفاك Nowak (سنة1979م) خريطة اشتملت على 49 موقعاً من مواقع الذئب، شملت ألاسكا، وشمال غرب كندا، وجنوب كنـدا، وكثـيراً مـن بقـاع الولايـات الأمريكية ما عـدا لوزيانـا Louisiana وفلوريـدا. ويعـود كثير من هذه المواقـع إلى وسكونسـين Wisconsin، وهي تمثـل العصر الجليدي المتأخر (الدافـئ) في أوروبا. في فترة ذوبان الجليد (Spatpleistozan Wurm)، أو العصـور الحجريـة الوسطـى Holozan. ولم يعـثر كلية على أية بقايا للذئب في شمـال شرق كندا، إذ كان في العصر الجليدي Pleistozan مغطى بالجليد.

ولقد عثر على تلك الموجودات في شمال أمريكا بشكل كبير في الكهوف، مثلما عثر عليها في أوروبا، ونادراً ما وجدت في مواقع الأنهار في الطبقات الغريّة، في أماكن استيطان صيادي الحيوان الشبيه بالثور (البيزون) Bison، أو في فوهـات البراكين الهامدة (في كليفورنيـا مثلاً). أما أقدم ما عثر عليه مما نجـم عن التصدعـات (Illinoian Riss)، فقد جاء مـن مواقع Alluvialen. وكالمعتـاد جاء ما عثر عليه من فترة ذوبـان الجليد (Wisconsin Wurm) من مواطن الصيادين في العصر الحجريSteinzeit– Jagersiedlungen في وديـان الأنهار. وقد عثر لايدي Leidy في مواقع فوهات البراكين الهامدة في رانشـو –لا– بـري Rancho–la–Brea علـى هيـاكل عظميـة وجماجـم لذئاب، إلى جانب هياكل عظمية لذئاب ضخمة عاشت في العصر الحجري Pleistozanen في شمـال أمريـكا في نـوع كانيـس ديروس C. dirus. ولم تُبحـث حالات التطـور في العصر الجليدي Pleistozan بحثـاً جيداً، وذلك باستثنـاء ما تستوجبه الروابـط الجغرافية لأبحاث الفضـاء بين الأصقاع. ومـع ذلك، فإن هـذا يؤدي إلى اتجـاه نحو نوع متقدم من أنـواع الحيوانات

المفترسة من حيث بناء الجمجمة وتشكيل الأسنان. ووفق نتائج فرسجاكين Verescagen، كان المقياس م^3 M ^{3} (6 %) في حالتين من بين 33 جمجمة ئئب جاءت من البحيرة الإسفلتية في بناجادي Asphattseen Von Bina-gady من العصر الجليدي الوسيط Mittleres Pleistozan في حين كان المقياس م^3 M ^{3} (6 %) في حالة واحدة من بين 222 جمجمة ذئب من الذئاب Rezenter، أي 0.9 % وقد أعقب ذلك قِصر نسبي في صف الأسنان من خلال الموقع الضيق لـPramolaren، كما أعقب ذلك أيضاً قصر في طول غطاء الجمجمة، وذلك إلى جانب طويل في الصدغ.

ثم إن الأشكال التي جاءت من العصور الحجرية المذكورة Pleistozanen، من حيث درجة النوع أو حتى انقساماته، هي أشكال لم تحظ بالدراسة الكافية من خلال المواد المتفرقة التي عثر عليها. وهذا لا يجعلنا نستبعد وجود اختلاف في التكوينات الجغرافية لجماعات الذئاب في مدى العصر الجليدي Pleistozan، فقد أثبت لايدي Leidy وجود الذئب المخيف، الذئب من نوع كانديس ديروس C. Oirus بوفرة مثيرة غامضة في أشكال المتحجرات، وقد عثر على أفضل شيء من ذلك بشكل كبير لحيوانات العصر الحجري المتأخر Spatpleistozanen Fauna حيث كان العصر جليدياً جداً (قبل 15.000–25.000 سنة). وحسب الرسم البياني الذي أعده نوفاك Nofak (سنة 1979م)، حيث كان تحت تصرفه 62 جمجمة لهذا النوع يمكن المقارنة بينها وبين 448 من الذئاب Rezenten، فقد كانت الجمجمة في المتوسط أطول بحوالي 5/1، ويشير ذلك إلى طول في مقياس الأنياب العليا، أي (28.7 – 35.3ملم)، فهي ذات لثة عريضة ولها أيضاً، وبشكل خاص، جبهة عريضة، ولها كذلك Supra–orbitalforsatze عريضة. ومن الواضح أن نطاق جبهة Orbiten أكثر تسطحاً في الذئاب. وحسب رأي

نوفـاك، فإن هذه الذئـاب كانت منتشـرة في جنوب شرق كنـدا، والولايات المتحـدة الأمريكيـة (ولا سيمـا في فلوريـدا)، وكذلك في المكسيـك، وبيرو، وربما كانت في الأرجنتين أيضاً. ولقد انقرض هذا النوع من الذئاب لاختفاء الحيوانات آكلـة الأعشاب في نهاية ذوبان الجليـد (Wisconsin Wurm). ويذكرنـا تاريخ هـذه الذئاب بالمقارنة مع الذئـاب Rezenten، وحسب رأي فيريسجاكـين (سنـة 1985م) Verescagin، بالذئاب في الكهوف، والدببة السمراء. وهناك اختلافات ضئيلة في خصوصية التغذية، وقد انقرض هذا النوع في نهاية العصر الجليدي.

ولا يقدم مـا عثر عليه من حيث المجـال Palaontologischen شيئاً، سواء فيمـا يخص نشـأة الذئاب، أو في تعقب تجوالات النـوع في العصر الجليدي المبكـر Fruhpleistozanen، إذ اشتملـت مساحـة الأراضـي التـي وجدت الذئـاب بها في العصـر الجليـدي المتأخـر Spatpleistozan، على امتداد الجنوب حتى تصل إلى منطقة واسعة من البراري الثلجية. كما ظهر في مثل هذه المنطقة، في أوروبا وشمال غرب آسيا، كثير من الحيوانات ذات الحافر والقوارض التي كانت غذاء للحيوانات المفترسة، وذلك مثل: حيوانات الرّنة، Saiga-antelope Elch، Tarpan، بالإضافة إلى الحيوانات الثدية Mur-nelt، وكذلك الإنسان الحجري Jungrteinzeitmench، ومن ثم، يمكن أن نفترض أن ذئاب العصر الجليدي الأعلـى Oberenpleistozan، في غرب أوروبـا الآسيويـة، عاشت تماماً قبل جنـوب شرق أوروبـا الآسيوية والشرق الأدنى، ففـي الشرق براريٍ ومرتفعات جنوب سيبريا ووسط آسيا، وفي شمال آسيـا لا تزال حتى اليـوم بقايا براري التنـدرا Periglazialer، ولعلها كانت تنتمـي إلى منطقة حيـاة الذئاب، إذ كانت قد غـدت ذات يوم منطقة عبور من آسيا إلى شمال أمريكا.

أمـا الذئـاب التي هاجرت إلى العـالم الجديد، فقد حدثـت هجرتها خلال

رحلاتها المتعددة في المجرى الجليدي في شمال غرب آلاسكا، وغرباً إلى جرينلاند، ونحو الجنوب. لقد تم الاختلاف الـ Interapezifiche لذئاب شمال أمريكا بعد العصر الجليدي Pleisozan، تبعاً لأشكال منفردة من أشكال العصر الجليدي.

وقد بيّن ما عثر عليه من حفريات في جحور الدببة في ميدويشجابتشورا Medveschy a pestschera في أعالي باتشورا Petschora انتشار الذئاب في سفوح جبال الأورال Ural، بعد العصر الجليدي Nachpleistozaner، في عصر ذوبان الثلج (Wurm) Waldai-Eiszeit، إذ كانت قلة الغطاء الجليدي، وتنوع الحيوانات ذات الحافر في الغابات والبراري، مصدراً من مصادر الغذاء للذئاب. ومع ذلك فإنه بعد ذوبان الجليد Hacheisszeitlichentlozan اختفت الذئاب تماماً من السفوح الغربية لجبال الأورال.

وهكذا، بلغت بقايا الذئاب في طبقات العصر الجليدي pleistozan 1.6% من مجمل ما عثر عليه، كما بلغت في طبقات العصر الحجري Holozan 8.0%. وقد قام الإنسان فيما بعد بمطاردة الذئاب، فأخذت تتفاوت تفاوتاً كبيراً في أعدادها.

ومع أن النظرة العامة تذهب إلى أن الذئاب والكلاب تجمعها فصيلة واحدة، فهناك من يزعم أن الكلاب من أصل: Dingolike prototype، وأن الذئاب ترتبط بالكلاب ارتباط عمومة بعيدة: much more distant cousins حتى لو كان الشبه بينهما قريباً.

وهناك اعتقاد بأن الذئب الآسيوي هو أصل سلالة الكلاب، وأنها جاءت من تدجين الذئاب في الشرق الأدنى، قبل 10 آلاف سنة، أو 12 ألف سنة.

ويذهب كنجدون إلى أن أول تدجين للذئب جاء من جنوب الجزيرة العربية تحديداً.

خارطة العصور الجيولوجية

أبد (Eon)	حقب (Era)	عصر (Period)	حين (Epoch)	أهم أنواع الحياة	السلم الزمني (مليون سنة)
أبد الحياة الظاهرة (المعروفة) (Phanerozoic Eon)	حقب الحياة الحديثة (Cenozoic Era)	الرباعي (Quaternary)	الحديث: (Recent)	عصر الإنسان	0.01
			البلايستوسين (Pleistocene)		1.6
		الثلاثي (Tertiary)	البلايوسين (Pliocene)	عصر العماموث	
			الميوسين (Miocene)	عصر الحيوانات العصرية	5.2
			الأوليجوسين (Uligocene)	عصر آكلات العشب	24
			الأيوسين (Iocene)	عصر اللبونات الضخمة	27
			الباليوسين (Paleocene)	عصر الخيول الأولى	58
	حقب الحياة المتوسطة (Mesozoic Era)	للكريتاوي أو الكريتاس (Cre-taceous)		عصر الداياصور الأخير	66.2
		الجوراوي او الجوراسي (Jurassic)		عصر الداياصور المتوسط	144
		الترياس (Triassic) أو الثالث		عصر الداياصور الأول	208
	حقب الحياة القديمة (Paleozoic Era)	البرمي (Permian)		عصر الزواحف الأولية	245
		الكربوني (Curboniferous)		عصر البرمائيات والمستنقعات	286
		الديفوني (Devonian)		عصر الأسماك	360
		السيلوري (Silurian)		عصر العقارب المائية	408
		الأردوفيشي (Ordovician)		عصر الرخويات العملاقة	428
		الكامبري (Cambrian)		عصر الترايلوبايت	505
أبد الحياة الخافية Cryptozoic Eon	البدائي (Proterozoic)				570
	العتيقة (Archeozoic)				2500 4600

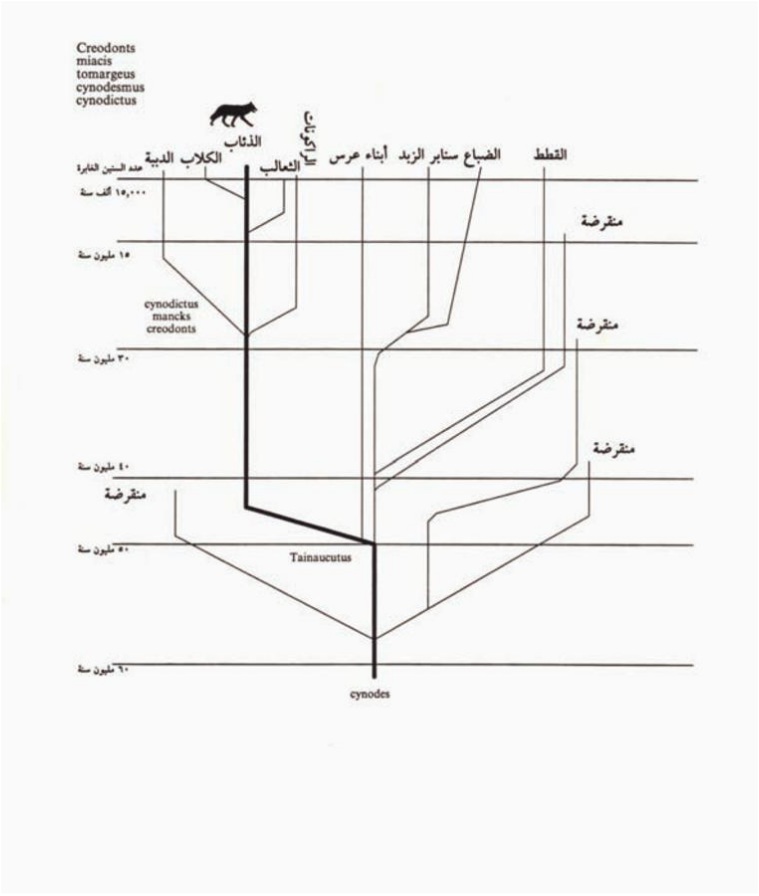
Creodonts
miacis
tomargeus
cynodesmus
cynodictus
الذئاب
الدببة
الكلاب
الثعالب
أبناء عرس
الزبد
سنابر
الضباع
القطط
منقرضة
منقرضة
منقرضة
منقرضة
cynodictus
mancks
creodonts
Tainaucutus
cynodes

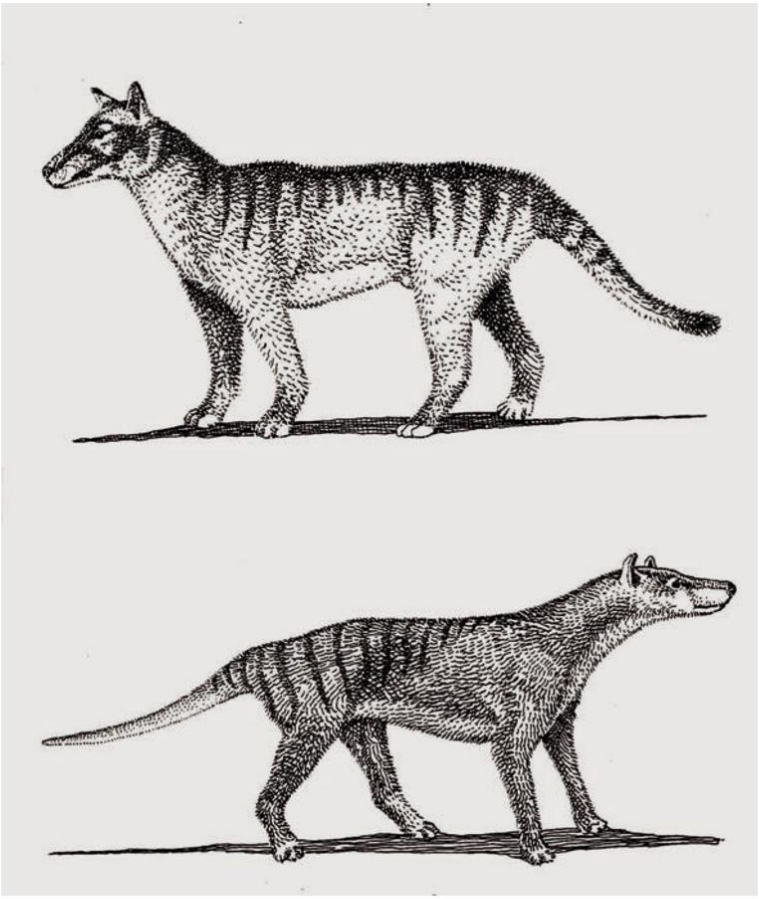

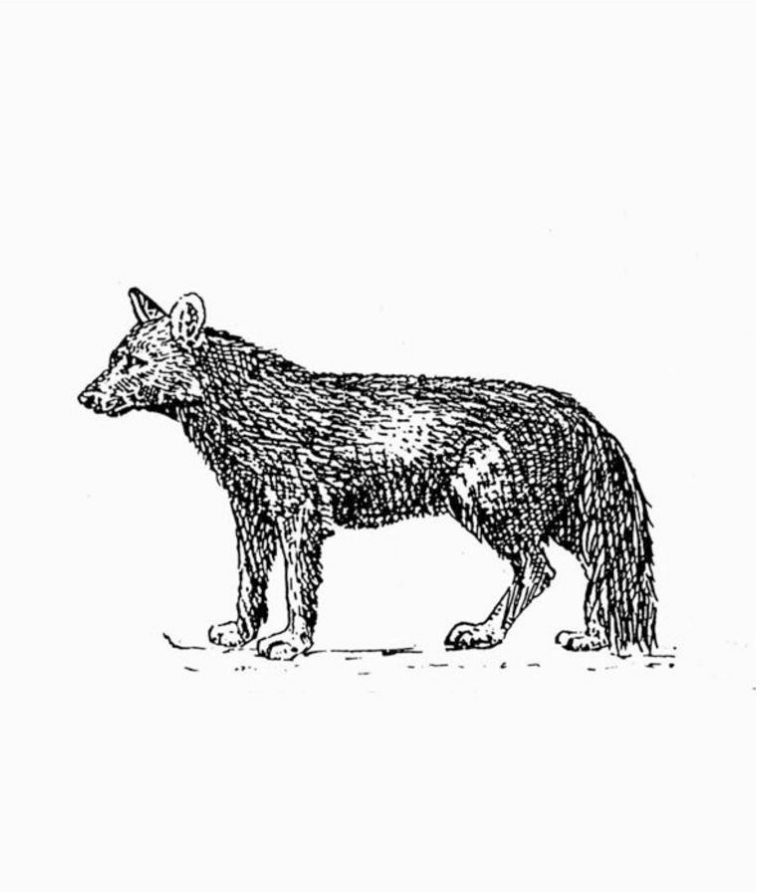

الفصل الثالث

أنواع الذئاب وترتيبها الطبقي وهيئاتها وحالاتها

الفروقات النوعية بين الذئاب

ينقسم الذئب الأطلس وحده إلى ما يقارب 30 نوعاً تنتشر في أصقاع المعمورة، على الرغم من أنه من العسير معرفة الفروقات النوعية بين هذه الذئاب من الوهلة الأولى، وإن كانت هناك فوارق حقيقية من ناحية الحجم واللون بين الذئاب، ولكن هذه الفوارق كثيراً ما تتقارب في حدود المنطقة الواحدة.

فالذئاب البيض توجد في المناطق الشمالية المرتفعة، وإن كان هذا اللون لا يُفتقد أيضاً في الجنوب، أما الذئاب السود، فهي موجودة في المناطق الجنوبية، وإن كنا لا نعدمها في الشمال أيضاً.

توجد الذئاب الأكبر حجماً في آسيا، وبالذات في الجزء الآسيوي من سيبريا، كما توجد في الصين، وتوجد كذلك في شمال أمريكا.

ويوجد الذئب في أوروبا: في النرويج، والسويد، وفنلندة، وفي أوروبا الشرقية، وشمال إسبانيا. وفي أمريكا الشمالية هناك ما يقرب من 20 نوعاً، في حين أنه في آسيا وأوروبا هناك ستة أنواع.

وتسمى الذئاب التي تعيش في الشمال ذئاب التندورا، وتتميز بالشعر الكثيف الطويل الفاتح اللون، أو حتى الأبيض.

أما الذئاب في الجنوب، فهي ذات شعر قصير، وبني أحمر، أو بني غامق، كما توجد بين هذين النوعين المتمايزين جداً ذئاب ذات ألوان مختلفة: بيضاء، أو بنية، أو داكنة، أو سوداء.

أما أكبر الذئاب، فتوجد في ألاسكا وشمال غرب كندا، وأما أصغرها، فيوجد في المكسيك، ويتراوح ارتفاعها بين 60-85 سم، ووزنها بين 30-75 كغ. وتكون الإناث عادة أصغر من الذكور.

وعلى العموم، فليس بالإمكان التمييز بين أنواع الذئاب المختلفة والذئب الكويوت والشاكال، وما يشبهها، بعضها عن بعض، عن طريق حجم الجمجمة، إذ لا بد من اللجوء إلى الحجم، واللون، وطبيعة الشعر، وخصائص الذيل، إلا أن ذئب الشمال، هو من أكبر أنواع الذئاب على الإطلاق.

أهم أنواع الذئاب

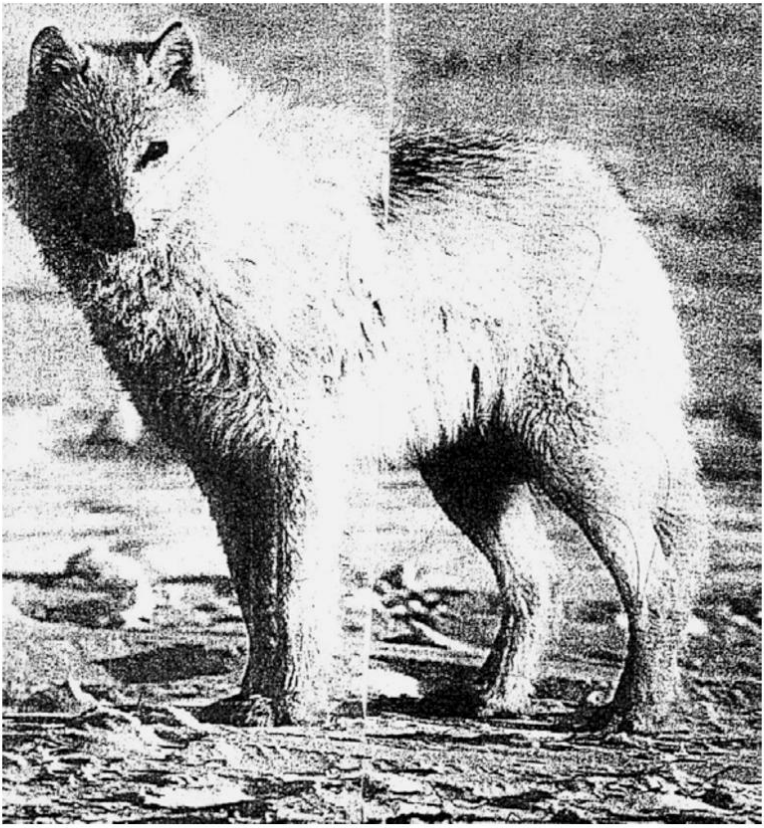

ذئب الشمال

الذئب الأطلسي في شمال أوروبا، خاصة في إسكندنافيا

الذئب الأحمر

الذئب الأحمر: جنوب شرق الولايات المتحدة *Red wolf, Canis*

الذئب الأطلس- الرمادي (الأسود في ألاسكا وكندا، ومناطق الشمال)

Gray Wolf

الذئب الأطلس: شمال أمريكا وفي منطقة البحيرات العظمى في مينوستا Gray wolf. C.lupus lycaon

الذئب المكسيكي

Mixican Wolf (Lupus Baileyi) ذئب المكسيكي: ذئب محدود العدد لا يتجاوز اثني عشر ذئباً في المكسيك Mexican Wolf. Lupus baileyi

الذئب الآسيوي — *Asian Wolf*

ومن أنواعه الصغيرة — *Canis Lupus*

Indian Wolf (Clupus Pallipes) الذئب الهندي

الذئب في الشرق الأوسط

Persian Wolf. Clupus Campestris

وهنـاك ستـة أنواع مـن الذئاب الحقيقية ممـا يندرج تحـت الاسم كانيس لوبس:

1- كانيس لوبس Canis Lupus.

2- كانيس لوبس بالبيس، وهو الذئب الآسيوي Canis Lupus Pallipes.

3- كانيس لوبس شانكو، وهو ذئب التبت Canis Lupus Chanco.

4- كانيس لوبس العربي، هو ذئب الصحراء العربي Canis Lupus arabs.

5- كانيـس لوبـس هودفيلـس، وهـو الذئـب اليابـاني Canis Lupus hodophylas.

6- كانيس لوبس أنتاركتس Canis Lupus antarcticus /antarctic.

وهناك ذئاب تنتمي إليها انتماء قرابة شديدة جداً، وهي:

1- كانيس روفس، وهو الذئب الأحمر في تكساس Canis rufus.

2- كانيـس جوباتـس، وهـو الذئـب ذو العـرف الطويـل في جنـوب أمريكا الشمالية Canis Jubatus.

3- كانيس لاترانس، وهو ذئب البراري أو الكويوت Canis Latrans.

4- كانيس سيمينيسيس، وهو الذئب الحبشي Canis Simenesis.

وليس هناك اختلاف كبير بين الذئب الأطلس في الشمال، والذئب الآسيوي، وذئب التبت، والذئب الياباني، وذئاب أنتاركتس إلا في الجسم والهيئة.

الذئب كانس لوبس

وهـو أشهـل اللون يميـل إلى الغبشة، ولـه خط أسود يظهر عنـد بلوغه على فخذيـه الأماميتين، وذيله مستقيم، وعيناه مائلتـان، وقزحيته شهلاء تميل إلـى الصفرة، وقد يصير في الشمال أبيض شتـاء، وهو يوجد في أوروبا، إلا

أنه أبيد في بريطانيا، ويوجد في أمريكا الشمالية وفي مصر.

ابن آوى (الشاكال)

هناك ثلاثة أنواع من الشاكال، هي:

1 - كانيس أوريس Canis aureus، وهو ذو شعر بني أحمر في الظهر، وطرف ذيله أسود، يوجد في جنوب آسيا ووسطها، كما يوجد في شمال أفريقيا وشرقها، إنه أشبه بالكلب، رأسه مستطيل مدبب، وأذناه قصيرتان، عريضتا القاعدة، مدببتا الطرف. يعيش نهاراً مختبئاً في الجحور والكهوف، ويخرج ليلاً للصيد.

2- شابراكنشاكال Schabrakkenschakal، كانيس ميزوميلاس Canis mesomelas، وهو ذو شعر أحمر غامق، وظهره أسود، ويعيش في جنوب أفريقيا وغربها في الأحراش والغابات.

3- كانيس أدومستوس Canis audustus يعيش في وسط أفريقيا وجنوبها، وهو ذو لون بني غامق. إنه ذئب مخطط بخطوط بنية غامقة، بعضها فاتح حول الخواصر، ولكن من الصعب تمييزها غالباً، وطرف ذيله أبيض.

يعيش الشاكال بكثرة في الأحراش، وطوله يتراوح بين 40-50 سم، ويزن بين 5-7 كغ. يتكون غذاؤه من الحيوانات الثديية، والجيف، والطيور، والبيض، والفاكهة، والحشرات، وتعتبر صغار الظباء صيداً سهلاً وجيداً له. ويعمد المزارعون في أفريقيا إلى سياجات حول مزارعهم حماية لحيواناتهم من الشاكال، يصيد الشاكال بمفرده أو مع مجموعة صغيرة خلال الليل، وإن كانت المزابل والأوساخ من أهم مصادر غذائه.

مدة الحمل لديه شهران، ويولد في جحر أرض، أو فجوة أرض، أو فجوة في جذع شجرة. ويلد ما بين 2-7 جراء ومعدلها 4 جراء، يقوم والدها

بتغذيتهـا. ونادراً ما يكوِّن مجموعة، وفي حالة المجموعة تصدر عويلاً كعويل الذئاب، وإن كان ذلك أشبه بنباح الكلاب وعوائها.

إن أهـم مـا يميز ابن آوى الشـاكال عن الذئاب، أنه يفتقـر إلى روح الدفاع المفترسة في الذئاب، فهو يميل إلى الجبن، ثم إنه من السهل ارتباطه جنسياً بالـكلاب. إنه أصغر عموماً من الذئب الصغير، ويمكنه الاستغناء عن الماء، بـل إن المناطـق الجافة مما يتناسب معه جيداً. كمـا أنه في أفريقيا يشترك مـع مجموعتـه في تحديـد منطقتهن بالتبـول. وفي الجزيـرة العربية يعيش في الصحـارى القريبـة من المزارع، فيهاجـم الأرانب والجـرذان والغزلان والزواحـف والبرمائيـات، والحشـرات الكبـيرة، ويحـب أكل الخضـروات كالطماطـم، ويـأكل الفواكه كالبطيـخ، بل قد يأكل الجيـف. وأغلب مناطق وجوده شرق الجزيرة العربية وشمالها الغربي.

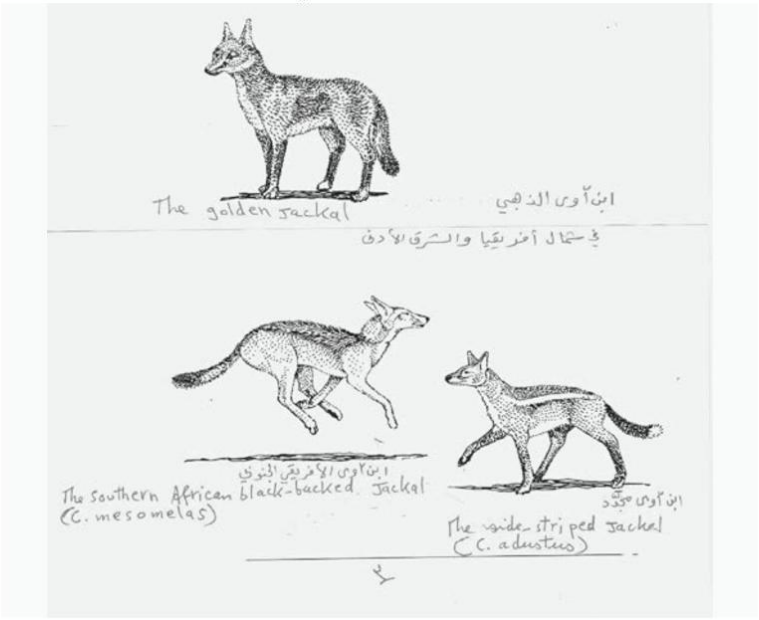

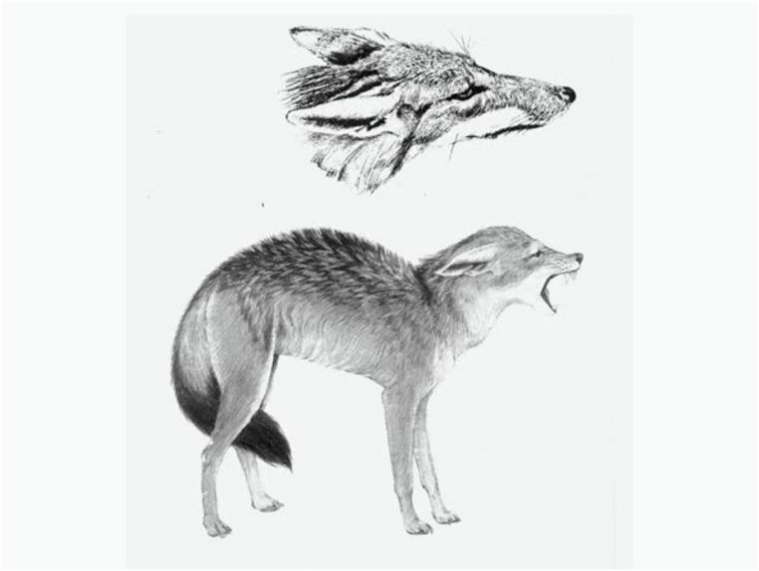

ابن آوى
الذئب

الذئب الكلب الأفريقي المتوحش Lycaon Pictus

ليـكاون بيكتوس كلمة تعني الذئب الملون أو المرقش، إذ كل كلب له لون يتميز به.

وهو ذو رأس كبير، وقوائم متقوسة، وأذنان كبيرتان منفرجتان مثل الضبع. ويُظن بأنه: الضبع - الكلب.

ولكن هذا غير صحيح من الناحية البيولوجية، فالكلب المتوحش ليس له صلة قرابـة بالضبع أبداً. يختلف عن الكلب في أن له أربعة أصابع في قدميه، بدلاً من خمسة أصابع في قدمي الكلب.

ويعيشـ هذا الحيوان في البراري والأشجـار الأفريقية، وهو ذو شعر قصير تشوبـه بقـع بيضاء وسوداء وبنية، وليس له شبه بـين الحيوانات، وثلث ذيله الأسفل أبيض، ارتفاعه بين 60 -75 سم، ووزنه يتراوح من 20-30 كغ.

يعيش في مجموعات، ويتغذى على ذوات الحافر: كالغزلان والظباء، والحمير الوحشية المخططة، وCnus، وأغلب فرائسه الصغار أو الحوامل.

تختار المجموعة واحداً من القطيع، فتنهكه مطاردة، ثم تطبق عليه، وتمزقه في لحظـات، وهي تصطاد عنـد الغبش مساء أو صباحـاً عندما يكون الجو معتدل البرودة نسبياً.

زمـن الحمل 70 يومـاً، وقد يطول نسبيـاً. تلد الكلبة (الذئبـة) بين 6 -10 جراء، وتتغذى على اللحم الذي هضمته المجموعة.

وفي جنوب الصحراء الأفريقية ما يزال يعيش حوالي 3000 ذئب كلبي فقط.

الذئب الأحمر أو الكلب الأحمر: كون ألبينوس Cun alpinus

كلب آسيوي متوحش، يصيد صيده ببطء، ويعيش في مجموعات في جنوب شرق آسيا، كما يوجد في الولايات المتحدة حتى المكسيك. يزن بين 15- 20 كغ، وطوله بين 45-55 سم. شعره بين اللون الأحمر والبني الغامق في جوانب بطنه، يتخلله لون أصفر بيضاوي. يصطاد الأيائل والماعز الجبلي والغزلان والخنازير البرية. ويشبه في صفرته الذئاب والكلاب الأفريقية المتوحشة. وهو أكبر من الكويوت، ولكنه أصغر من الذئب العادي.

الذئب الصغير، ذئب البراري الخيوط / القيوط The Coyote، The Prairie Wolf

والاسم العلمي له هو Canis Latranis:

إنه أكبر أبناء عمومة الذئب، أو هو الأخ الأصغر للذئب، والاستثناء الوحيد في نوع الذئاب هو هذا النوع، فهو نوع صغير يشبه ابن آوى.

منطقته شمال أمريكا الشمالية وبعض أجزائها الوسطى، وكذلك جنوب كندا حتى أواسط المكسيك.

يعيش الآن في ألاسكا حتى كوستاريكا، ويمتد وجوده من المحيط الهادي حتى شمال كندا وشمال أمريكا الشمالية.

يستوطن الصحارى والجبال، ويبتعد عن الأماكن الرطبة والقارية، ولهذا، فأكثر وجوده في جنوب غرب الولايات المتحدة.

غالباً ما تكون الذكور أكبر من الإناث. وعندما يطول شعره في الخريف والشتاء يبدو أكبر من حجمه الحقيقي.

اللون الأحمر هو اللون الغالب عليه، ولكنه قد يكون أسود، أو بنياً، أو أسفع

أسمر ضارباً إلى الصفرة.

لـه أنف طويل وحـاد بارز، وأذنان كبيرتـان منتصبتان ومقعّرتـان، وأقدام صغيرة، وجسد ممتد، وذيل كثيف.

يحيا هذا النوع من الذئاب الآن حياة منعزلة.

ويعـد الزواج الأحادي هو السمة البـارزة في العلاقة بين الذكر والأنثى، وقد توجد إحدى حالات التعدد النادرة.

ومما يميز هذا اللون عن الذئب أن فترة النضج الجنسي عنده متساوية بين الذكر والأنثى.

أما فترة الاتصال الجنسي بين الذكر والأنثى، فهي من ديسمبر إلى مارس، وتستمر علاقاتهما بعد ولادة الجراء حتى الخريف، ثم يفترقان، ولكن ذلك لا يعنـي انفصـام العلاقـة بينهما، فربما التقيـا، وهنا يكـون اللقاء حميماً بينهما، وإذا ما كان اللقاء الثاني هذا بعد ولادة الجراء، فإن الاثنين كليهما يقومـان برعايـة تلك الجراء. وربمـا تخلت الأم كذلك عـن الجراء، فتبقى الجـراء وحيدة بعد انفصالهما عنهـا، وهما يتقيّئان الأكل للجراء كما تتقيأ الذئاب.

وإذا مـا تشتت شمل العائلـة، ذهب كل واحد مستقلاً في وجهته الخاصة به، مهما كان صغيراً.

يحب تجديد مكانه، أكثر من حفره أماكن جديدة مرة أخرى. ولا يحب هذا الحيـوان الالتصاق جسدياً بغيره إلا في الحـالات التي تتطلب ذلك، كاللعب أو التحية. فهو مثلاً، لا ينام ملصقاً جسده بجسد آخر قريب منه مهما كان الأمر.

ويمتـاز هـذا النوع من الذئـاب بالدهاء، فهـو يستطيع البقـاء في حمى أية

مجموعة من الذئاب، على الرغم من عداء الذئاب الشديد له.

جُلّ غذاؤه الحيوانات الصغـيرة كالأرانب، والفئران، والسناجب، والطيور، وينتفع أيضاً بالفواكه والخضار.

الكويوت (ذئب البراري)

الذئب ذو الشعر الطويل The Manned Wolf

أنفـه ورقبته بيضـاوان، سيقانه داكنة، له شعر طويل علـى ظهره يبدو كأنه عُرف منتصب. يبلغ ارتفاعه إلى كتفيه ما بين 75 –85 سم.

يوجد في أمريكا اللاتينية، خاصة من شمال البرازيل إلى شمال الأرجنتين. يعيش وسط غابـات حشائش السافانـا، والأحراش الجافـة، والأراضي العشبية، والمدرجات.

يحيا منفرداً، وهو ذئب مسالم جداً.

وعلـى الرغـم من كبر حجمه، فإنـه لا يتغذى إلا على الأرانـب، وعلى بعض القوارض، كما يصطـاد الطيـور، إذا تهيأ له ذلـك. ويأكل أيضـاً الفواكه والثمار، وأهم ما يلفت النظر فيه، هو جريه الذي فيه تأرجح واهتزاز.

الفصل الرابع

الذئب العربي

Canis Lupus Linnaeus

ذئب الجزيرة العربية Canis Lupus Arab

هو أصغر أنواع الذئاب. أطرافه طويلة، وذيله يتدلى إلى العقب يغطيه شعر خشن، طرفه أسود وقمته سوداء وبيضاء. رأسه غليظ، وخطمه ممدود مدبب ينتهي بنهاية سواد. جبهته عريضة. وأذنه منتصبة صغيرة نسبياً. لون شعره يتفاوت بين الأصفر البني، إلى الرمادي البني، ممزوجاً ببعض السواد، مع وجود اللون الأسود على الظهر. يظهر اللون الأبيض على الخدود وتحتها وتحت البطن. أما شعر جسده، فقصير وخشن. معدل الوزن: 20- 30 كغ. معدل طوله 1140 ملم، طول ذيله 320 ملم. رجلاه طولهما 184-197 ملم. طول أذنه 80-92 ملم. أطول حجم لجمجمته 220-1845 ملم. مدة الحمل 9 أسابيع تقريباً، وتلد الذئبة بعدها ما يقرب من 3-9 جراء.

يعيش في منطقة القصيم، وضواحي الأحساء وبراري الساحل الشرقي للمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، وشمال شرق المملكة، وفي أجزاء من شمال الساحل الغربي منها. ويمتد انتشاره في الخليج من دِبّة، والبريمي، وجبل حفيت، حتى جنوب الهفوف وأرض يبرين وشمال الكويت.

وإلى جانب هذا النوع من الذئاب يعيش الذئب C.I.Pallipes في شمال المملكة.

لقد ذكر ديفيد هاريسن أن هذه الذئاب العربية تعتمد اعتماداً كلياً على الماء، ولهذا فهي لا توجد في قلب الصحراء، وإنما توجد في الأطراف المتاخمة.

أما جوناثان كنجدون، فقد أضاف إضافة قيمة أخرى حينما قال:

(يعمد أحد الذئاب في بعض الحالات إلى إغراء الفريسة وإثارة فضولها من

مسافة لا بأس بها، فيتدحرج بسرعة أمامها، أو يتكور بقوة مستديراً وهو يجري على ذلك النحو).

ومن ملاحظاته كذلك قوله:

(هنالك فرق شاسع بين الذئب المفرد، وبقية مجموعة قرابته. إذ يمتلك الذئب المفرد وحده مساحة تساوي عشرين ضعفاً قدر ما تمتلكه المجموعة، ثم إنه لا يترك آثاراً دالة على وجوده فيها أو يبلِّغ عن وجوده بالعويل).

فضلاً عمّا ورد أعلاه من أن (لون شعره يتفاوت بين الأصفر البني، إلى الرمادي البني، ممزوجاً ببعض السواد، مع وجود اللون الأسود على الظهر).

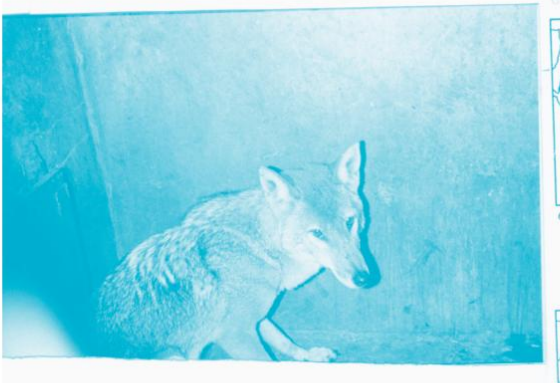

Canis aureus ابن آوى

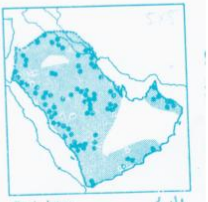

Canis lupus الذئب

الذئب العربي

ذئاب فلسطين

ينتمي الذئب في فلسطين إلى الذئب الآسيوي الذي يقطن المنطقة الممتدة من سفوح جبال الهملايا بالهند حتى فلسطين.

إن ذئاب فلسطين ذئاب مناطق فسيحة، وهي لم تعش أبداً في الأشجار الكثيفة.

إن ذئاب فلسطين ذات تفاوتات في الحجم واللون. وهي تعد أكبر من ذئاب أوروبا وأقوى، كما يزداد حجم الذئب في المناطق التي يكثر فيها سقوط الأمطار، بينما يقل تبعاً لندرتها، إلا أن ذئاب الصحراء غير متساوية من حيث الحجم، وفي المنطقة الجنوبية التي يقل سقوط المطر فيها تكون أصغر حجماً، إذ هي ذات جماجم صغيرة، كما أن أجسامها صغيرة أيضاً.

إن أحداً لا يعرف مدى العلاقة بين الذئب C.I. Pallipes والذئب العربي C.I.Arab حيث يتعايش النوعان جنوب وادي عَرَبة، والمظنون به أن الذئب العربي كان يعيش وحده في هذه المنطقة نتيجة لاستعداده الطبيعي للظروف الصحراوية. وربما ساعدت الظروف المكانية وتوافر الغذاء على دخول الذئب C.I.Pallipes ومنافسته للذئب العربي.

إن شعر الذئب C.I.Pallipes والذئب C.I.Arab قصير ودقيق في الصيف، إلا أن شعر الظهر أطول نوعاً ما في هذين النوعين حتى في الصيف، وذلك يعود إلى الحرارة الملتهبة في الصيف حين تضطر الذئاب إلى العمل ليلاً.

أما في الشتاء، فإن الشعر يكون طويلاً، ولكنه لا يصل إلى طول شعر الذئاب في أوروبا، إذ يبلغ طول الشعر في الصيف في هذين النوعين 30 ملم في الظهر، و10 ملم في الجانبين.

يميل لون الوجه إلى الدكنة الصفراء المتقطعة، كما يكون الظهر والذيل أسودين.

أما الرقبة والأكتاف والجوانب، والأفخاذ، والسيقان، والجباه، والآذان، فتميل إلى الصفرة البرتقالية الخفيفة. ويكون أسفل ظاهر السيقان وباطنها أبيضين، وجوانب الأنف صفراء رمادية.

وهي تقتل الحيوانات الأهلية، ولكن كثيراً ما تبحث عن جثث الحيوانات والنفايات، فبالقرب من النفايات، يمكن رؤية الذئاب وبالذات في الصحراء.

والذئاب تأكل اليرابيع، والأرانب البرية، والحجل، إلا أنها تأكل الأرانب كثيراً. كما تأكل الغزلان التي تطاردها، وتطرحها بعد مطاردة على مدى كيلومتر واحد. وحيث إن الغزال يعشو ليلاً، فإن الذئاب تصطادها بسهولة في الليل، وكذلك تصطاد الوعول.

وهي تهاجم الغنم قبل المساء، عندما تكون الأغنام راتعة في مراعيها، أو عندما تكون عائدة منها، كما تهاجمها في الحظائر نفسها. وقد تهاجم صباحاً أو ليلاً في حظائرها.

العجول: وقد لوحظ أن الذئاب تتسرب داخل حظائر الأبقار، ولا تهاجمها، حتى تولَد العجول في الخريف، ثم تبدأ في الغذاء على العجول وبخاصة الصغار منها، كما تهاجم الكبار. وإذا هاجمت الذئاب الكبار، فهي تهاجمها غالباً بالعض في جوانبها ولا تقتلها.

وهي تأكل الفئران والمعز، والدجاج، وتبحث في النفايات، وتهاجم الأغنام في المنازل، كما تتغذى على الجيف.

وعلى الرغم من أن الشتاء يعد فصلاً شديد القساوة للذئاب في نصف الكرة الشمالي، حيث تهبط درجة الحرارة إلى الصفر، فإن الشتاء يُعد فصلاً جيداً للذئاب العربية.

لقد ذكر هـ. مينديلسوهن H.Mendelssohin، في بحثه عن ذئاب فلسطين،

قائلاً في كتاب ذئاب العالم wolves of the world، ص190:

(إن ابن آوى Jackal يعيش غالباً بالقرب من الماء، أما الذئاب فهي غالباً بعيدة عنه، إذ من الممكن ألا تشرب إلا في فترات متقطعة، وهي تدخر الماء في أجسامها بكفاءة).

وهذه معلومة تبدو مناقضة للحقيقة العلمية التي تذكر أن الذئب لا يستغني عن الماء، فهو يعطش باستمرار. وقد ذكر هو نفسه في المرجع نفسه أن الذئاب تبتعد عن الماء بمقدار خمسين كم، وهذه مسافة معقولة؛ لأن المياه غالباً ما تكون مأهولة في هذه المناطق؛ فاقتراب ابن آوى من المناطق السكنية والزراعية على أطراف الصحراء؛ نظراً لعدم قدرته على العيش في مواجهة الذئب الذي يقتله، فيلجأ إلى الاحتماء منه بالابتعاد عنه.

وقد لوحظت حالات سفاد بين الذئاب والكلاب، وحيث تجتمع الذئاب والضباع كثيراً عند النفايات والفضلات، وكثيراً ما تفسح الذئاب الطريق للضباع، التي هي أكبر حجماً منها.

كما قد تجتمع نهاراً بالسنّور حول تلك النفايات، وهي لا تقترب منها إلا بعد مغادرة الذئاب.

لقد لوحظ أن مجموعة الذئاب في الجزيرة العربية تصيد منفردة، أو في مجموعة مكونة من اثنين اثنين في الغالب.

كما لوحظ أن مجموعة الذئاب تصل إلى 12 ذئباً، وقلما لوحظت جماعة أكبر من ذلك. والملحوظ أنه في فترة أواخر الصيف، وفي الخريف، تصاحب خمسة ذئاب صغيرة والديها.

وفي فلسطين يبدأ التناسل في الشتاء في منتصف يناير، وتلد في نهاية مارس وبداية إبريل.

وعموماً، يمكن أن يقال: إن تَكَوَّنت مجموعة ذئاب في المنطقة العربية، فهي محدودة العدد، لأن المتحكم الرئيس فيها هو الغذاء، وحصول الذئب العربي على غذائه عسير جداً.

وإضافة إلى ذلك، فإن هذا النوع من الذئاب عاد إلى الظهور مرة أخرى في سوريا أيضاً.

الكلاب الذئبية (المهجنة) Canis Lupus Pallipes

الأصل

يُظن أن كل الكلاب تنتمي إلى الذئب الهندي، فقد تحول الكلب من ذئب إلى كلب أليف بعد مضي آلاف السنين.

العلاقة

على الرغم من أن الذئاب غالباً ما تحافظ في الخلاء على نوعها، فقد لوحظ وجود اتصال جنسي بين الذئاب والكلاب الأهلية في بعض جهات الاتحاد السوفيتي السابق، وفي المناطق المحمية في تلك الجهات. وكثيراً ما يحدث ذلك الاتصال في الشتاء حول أماكن القمامة وفضلات الطعام. وتعتني الذئبة بجرائها بعد ولادتها دون ارتباط بأبيها الكلب. أما الذئب، فيحاول أن يبعد الكلبة عن نفسه، وعندما تظل ملتصقة به يقوم برعاية الجراء معها.

السلوك

يسلك هذا النوع سلوك الذئاب، ولكنه يختار البقاء بالقرب من المناطق السكنية، فيهاجم الحيوانات الأهلية، ومنها الكلاب الأهلية، فإذا ما عاش

في الخلاء، فإنه يصطاد الغزلان.

ولكن هذا النوع يكوّن مجموعة كبيرة، على عكس الذئاب، إذ تصل مجموعته إلى 18 حيواناً في الصيف، ويعدو خلف الغزلان وهو ينبح، أو من غير نباح، على بعد حوالي 4 كم، وهذه من عادات الكلاب، وليست من عادات الذئاب، ولكنه يقسم إستراتيجية الهجوم فيما بين مجموعته مثلما تفعل الذئاب.

ويمكن تمييز الكلاب المتوالدة من الذئاب عن الذئاب، وذلك من حيث المظهر Pekingese، وعدد الأسنان، إذا هي في الذئاب أكثر منها في الكلاب المتوالدة عنها، كما يمكن تمييزها من واقع اللثة أيضاً.

وعلى العموم، يمكن الجمع بين الكلاب والذئاب لإنجاب نسل جديد.

الفصل الخامس

الهيئة الجسمية وحالاتها

الحجم

يختلف حجم الذئاب من منطقة إلى أخرى، ففي المناطق الجنوبية يتراوح وزن أكبر ذئب بين 35–50 كغ، على حين تكون الذئبة عادة في كل المناطق أصغر حجماً، ويقل وزنها بما يقارب 20 كغ عن الذئب.

ويتراوح أكبر وزن للذئب في المناطق الشمالية بين 45–70 كغ، وقد يوجد العكس، فتوجد ذئاب صغيرة الحجم في الشمال وكبيرة في الجنوب.

وعلى وجه العموم، فإن الذئاب تزداد ضخامة في يناير وفبراير، ويتناقص وزنها في يوليو وأغسطس تبعاً لتناقص الغذاء وتغير الأجواء.

ولكن مقاس الذئب لا يتغير بعد مضي عام على ولادته، وقد يزداد وزنه بعد ذلك، إلا أن مقاسه يكون قد تحدد فلا يتعداه.

الصدر

صدر الذئب ضيق غير متسع، وهذا يساعده على الجري الانسيابي.

المعدة

تمتلك الذئاب معدة ضخمة قابلة للتمدد، تتخذ نوعاً ما شكل الكمثرى، مما يجعلها مهيئة لعادات اختزان اللحوم ونقلها إلى الجراء.

الفكان

إن مجموع أسنان الذئب هو اثنان وأربعون سناً حادة مدببة: تبدأ بالقواطع، فالأنياب، ثم الأضراس التي قبل الطواحن، وتنتهي بالطواحن، أطوالها 5 سم.

تقع الأسنان الطواحن في آخر الفكين، ففي الفك الأعلى الطاحن الرابع،

وفي الفك الأسفل الطاحن الأول، بحيث يشكل المجموعُ الأسنانَ القواطع، وهي لا تقتصر على مضغ اللحوم، بل تسحق حتى العظام. ولذا تتعرض أسنان الذئب إلى التلف كلما تقدمت به السن، مما يفسر حاجة الذئب أحياناً إلى الاكتفاء بصيد الحيوانات الأهلية كالأغنام والماعز.

إن قوة الذئب أشدها في عنقه وأسنانه، فهو يحمل شاة دون أن تلامس أطرافها الأرض، ويجري بها أسرع مما يجري خلفه الراعي، إلا أن يعدو خلفه كلب.

الجلد

يتكيف جلد الذئب مع أي مناخ كان، فهو شديد الانسياب فيما بين مؤخر الظهر حتى العنق، يغطيه شعر كثيف مكسو فراء. وينحسر الشعر في الخريف، ثم يستبدل بشعر كثيف ذي فراء في الشتاء، ويأخذ الشعر الخفيف في النمو في الربيع.

يتساقط شعر صغار الذئاب منذ بلوغها الشهر السادس من العمر، ثم ينمو من جديد في الربيع.

الغدد

إن الغدد الدهنية الجلدية Sebaceou glands غير كثيرة فيما عدا الشفاه، والشرج، وما بين الفخذين، وعظام الصدر. أما الغدد Sweet glands، فلا توجد إلا في لبد القدم (وهو غلظ كالوسادة في باطن القدم).

ويعمد الذئب إلى تلطيف حرارة جسده عن طريق اللهاث كالكلب.

وهناك غدتا شَمّ على جنبي الشرج. وهما غدتان مهمتان تساعدان الذئاب على التعرف على غيرها، وعلى تحديد المنطقة.

المخ

يصغر حجم مخ الذئب عن حجم مخ الإنسان، ولكنه بالمقارنة بمخ الحيوانات آكلة الأعشاب، فإن نصفي محيط المخ cerebral hemisspheres مستطيل في الخلف بحيث يغطي معظم المخيخ cerebellum، ولعل حدة الذكاء في الذئاب تعود إلى كبر حجم الدماغ.

العيون

عين الذئاب ذات لون برتقالي، تبدوان في حالة الغضب كالنار الملتهبة. وهما تقعان في مقدمة الوجه، كعيني الإنسان، إنهما يتوجهان بثبات وعزيمة صوب ما ينظران إليه، ولكن من النادر أن يحدق الذئب في الإنسان، إذ كثيراً ما يظهر أنه غير مبال بوجوده.

اللون

إن اللون الغالب على الذئاب هو اللون الأطلس، على الرغم من أن اللون الأطلس التام الطلسة نفسه غير مستقر، إذ يختلط في غالبية الذئاب بألوان وظلال أخرى، فعلى سبيل المثال، نجد في البطن والسيقان الخطوط البنية الحمراء، والعلامات السوداء، والبنية الفاتحة (بيج) والبنية الممتزجة ببقع بيضاء واضحة البياض.

ولكن اللون الأطلس هو اللون الذي ينعكس حقيقة على الذئب عند النظر إليه ونحن مواجهون للشمس، أو عندما يكون بين الأشجار، وتؤثر البيئة على اللون كثيراً، ففي شمال الكرة الأرضية يسُود اللون الأبيض، وفي ألاسكا وكندا يغلب اللون الأسود.

الحواس

النظر

إن نظـر الذئـب نظـر ثنائـي binocolour؛ لأن العينين تقعـان على جانبي الرأس، وليستـا متحدتـين في النظر إلى بـؤرة الشيء؛ ولهذا، فـإن حاسة النظـر عـن بعد ضعيفة، فالأشيـاء لا ترى بوضوح. وإضافـة إلى ذلك، فإن علاقـة تكوينـات الشبكية برؤية الألـوان لم تتطور التطـور الكبير. فالصور المرئية، إما سوداء وإما بيضاء، وإما ذات ظلال باهتة.

الأقدام

يتميـز الذئب بطول سيقانه، مما يساعده على قطع المسافات الطويلة دونما تعـب، حتى في الجليد والرمال. وأقدامه كبيرة متينة مهيئة للجري السريع، وعلى الرغم من متانة الأقدام، فإن ترتيب الأصابع وموقع لبد القدم (اللبد هـو غلظ كالوسـادة في باطن القدم)، يمنحان الذئـب مرونة عندما يحتاج إليهـا، فعلى سبيل المثال، عندما يلزم الذئـب تسلق الجبال تنفرش أصابعه وتنبسط كثيراً، ويتماسك اللبد تماسكاً شديداً يسهل عليه الارتقاء والصعود على الجبـال المنزلقة حتى يصل إلى هدفه. وهكذا، فهي تتكيف بسهولة مع المنحدرات والشقوق، وهذا مما يسهل عليه زيادة السرعة.

ومواطئ أقدام الذئبة أضيق من أقدام الذئب وأطول.

الشم

تتميـز الذئـاب بحاسة شـم شديد الحساسيـة، إذ إن الحواسـ الشمية في الذئب متطورة جداً، فهي تشم على بعد مئات الأمتار.

وهـي كثيراً ما تستعمل البحث بواسطة الشم، والذئب حساس جداً، فإذا ما

تغـير مصدر الشم الذي اعتاد؛ أنكـره. وتعود القدرة على الشم إلى فتحات صغيرة تعرف بـJacabson's Oragans، موجودة في مقدم سطح الفم.

وتستطيـع الذئـاب أن تميز بين رائحـة الحيوانات ورائحة الإنسـان، بل إن الذئب يستطيع أن يحدد منزلة الذئب الآخر عن طريق تشمم آثار بوله.

السمع

من الغريب أن حاسة السمع في حالة الصيد مع المجموعة ذات أهمية قصوى بالنسبـة للذئاب أكبر من أهمية بقية الحواس، فالذئب حين يطارد فريسته في مقابلة الريح، لا يطاردها؛ لأنه يتبع رائحتها، أي: بفعل حاسة الشم لديه، بل يطاردها؛ لأنه يسمعها جيداً، فالسمع لدى الذئاب حاد جداً، فهو يستطيع سماع الأصوات عن بعد، كما يمكنه التعرف عليها أيضاً، بل يستطيع تحديد مواقعهـا تمامـاً؛ فحاسة السمـع لديه قادرة علـى سمع الذبذبـات الفوقية والدونيـة التي لا تصل إلى سمع الإنسان. وربما كانت هذه الحاسة هي التي تمكـن الذئاب من تنسيـق مواقع هجومها على فريستهـا في أثناء المطاردة، كما تمكنها من التجاوب فيما بينها من مكان بعيد.

الشعر

وعلـى الرغم من قساوة الحرارة في الصحراء، وقراصة الصقيع في الشتاء في بلاد الشمال، فإن الذئاب قادرة على التكيف مع التقلبات المناخية، بحيث تخـرج إلى الخـلاء في أي وقت تشاء، فلا تشعر بالحـرارة أو البرودة، ففي الشتاء يغطيها شعر كثيف وطويل، وفي الصيف تخلعه. وفي المناطق القطبية الباردة جداً يغطي الشعر كل أجزاء جسم الذئب حتى أخمص القدمين.

ولكـي تتخلـص الذئاب ممـا تبقى مـن شعر عالق بهـا صيفـاً، تتمرغ على

الرمال، فتبدو في آخر الصيف أقرب إلى الملساء الناعمة.

الذيل

تعبر الذئاب عن حالاتها النفسية بواسطة حركات أذنابها، على النحو التالي:

1- إذا ما كان الذئب خائفاً، فإنه يمشي وذيله منطوٍ بين ساقيه، ملتصق ببطنه، خاصة في حالة خسرانه الصراع.

2- إذا ما كان في حالة أمن وانسجام، فإنه يتمشى وذيله مسترخٍ، وقد يبدو شعره منتفشاً.

3- إذا أراد أن يعلن عن مسالمته للذئب الآخر، وعدم تحديه له، فإنه يلصق ذيله بجسده، ورأس الذيل منحنٍ إلى الوراء.

4- أما في حالة التحدي والمواجهة، فإن الذيل ينتصب غالباً، منتفشاً.

5- وفي حالة نية الهجوم والاستعداد له، فإن الذيل يكون ممتداً خلفه في موازاة ظهره.

6- إن أهمية الذيل للذئب أهمية قصوى، إذ تعكس حركات الذيل كل مشاعر الذئب وخلجاته، حتى إنه في حالة الابتهاج الشديد، يبصبص بطرف ذنبه الأخير فقط.

7- يُعَدّ الذيلُ الذراعَ الثالثة له، فهو يربت به على ظهر زميله بقوة، وهما يجريان في صف بعضهما بعضاً.

السير

يستطيع الذئب أن يسير مئات الأميال في بضعة أيام، كما يمكنه أن يسير ما يقرب من 35-40 ميلاً في ليلة واحدة.

التبرز

تعمد الذئاب إلى إحداث خدوشات في تبرزها، وكثيراً ما يكون ذلك في أسفل المنحدرات التي تمر بها، وكذلك في الفجوات داخل الجبال، وفي الأحراش على جنبات الوديان، وهي تحدث تلك الخدوشات بعد التبول عندما تدفع تبرزها بأرجلها وتسحبها إلى الخلف بأقدامها. فإذا كان الخدش في تربة لينة، فإنها تستخدم أظفر أصبع القدم. وهي تحدث كذلك خدوشات بالقرب من فريستها الحديثة، بل حتى الميتة الجافة. ومما لا شك فيه أن البراز يشكل عامل جذب بما يصدر من رائحة للذئاب الأخرى.

التبول

إن بول الذئب ذو لون أصفر، وهو يرش البول أحياناً على شيء عمودي، مثل كتلة من الأعشاب، أو أجمة منخفضة، أو جذع شجرة كبيرة، كما يتبول على جوانب الصخور، أو فوق الشجيرات المنبسطة.

والذئاب تتمرغ أحياناً على الأشياء ذات الرائحة الكريهة كالظِّربان القديم أو جثة البقرة الميتة. وقد يتبول الذئب حتى على الفريسة التي لم تقتل بعد، أو على اللحم الذي لا يرغب في أكله حالاً.

الاستحمام

تذهب الذئاب إلى الماء بعد فراغها من فريستها. وإذا وجد الذئب منبع ماء قليل الغور، فإنه يدخل فيه ويتمرغ بداخله. والذئاب سباحة جيداً، وتحب الاستحمام، ومع ألفة الذئاب لمنطقتها وتجوالها فيها، فهي تعرف مواقع المياه المعطنة التي ترتادها، وهي تحب اللعب في الماء.

النوم

مـع أن الذئب ينام، إلا أن مـن أوضاعه أيضاً، في حالات التحفز، أن يغمض نصـف عينه، وأن يلوي شفتيه. وعندما يستيقظ أحد الذئاب، فهو لا يحاول أن يزعج البقية في نومها.

وتطيـل الذئاب النوم نهاراً في الأيام المقمـرة وفي منتصف الشهر الهلالي، حيث تكـون شبه متوترة عندما يصبـح الليل عندها كالنهـار. وإضافة إلى ذلـك، فإن الإنـاث والجراء تنشط نهـاراً في فصل التناسـل، ويصبح وقت النوم اختيارياً.

ولكـن الذئـب إذا ما نام، فإنه يكون متيقظ الحواسـ، يتنبه من نومه لأدنى حركـة أو لأية رائحة مستغربة عليه، ونومه متقطع في حدود عشر دقائق، ثم ينهض متمطياً بساقيه.

وعـادة مـا تنام الذئـاب إذا مـا كان أكلها كثـيراً ومعدتها مـلأى، أو كانت مجهدة. فإذ ما كانـت الشمس ساطعة والريح هادئة، لجأت إلى مرتفع ما، فاستلقت فوقه، بل هي تقطع عدة أميال للوصول إلى مثل ذلك المكان.

الذئب ينام على عكس ما يُعتقد من أنه ينام مُغمَض العينين، وفاتحاً عيناً أخرى، لكنه حذِر، حسّاس، يستيقظ لأدنى حركة.

ذئاب مهجنة نائمة

الذاكرة والذكاء

للذئب قدرة على تذكر الحدث ولو مضي سنة عليه، فهو يتميز بالذكاء الشديد، وكثيراً ما يستفيد من خبراته المريرة في الحياة منذ صغره، وله إحساس بما أحدق بغيره من الذئاب من مخاطر، وهو يتعلم الانضباط منذ حداثته.

الفصل السادس

الموت

الأسباب والدوافع

1- المجاعة

على الرغم من أن موت الذئاب من الجوع غير مؤكد، فإن المفترض أن غالبية الوفيات بين الذئاب تعود إلى المجاعة، ليس لأن الجوع عامل مباشر في الوفاة، بل لأنه يؤدي إلى الهزال وضعف المقاومة أمام الأمراض وغيرها.

وربما دفع الجوع بالذئب إلى الهجوم على حيوان يفوقه في تلك اللحظة قوة ونشاطاً.

ولكن ندرة الغذاء تؤثر على جراء الذئاب حيث يغتنم الأقوى الفرصة، فيعتدي على نصيب الضعيف، الذي قد يعجز عن المقاومة، فيموت، وإن كان ذلك أيضاً احتمالاً، إذ إن الولادة تكون في الربيع، ما يعني أن الجراء تكون مشتدة العود عندما يأتي الصيف.

أضف إلى ذلك أن الحصول على الحيوانات الصغيرة ليس صعباً جداً.

وقد يدفع الجوع بمجموعة خارج حماها، فتصطدم بغيرها، ويعرضها هذا إلى أخطار أخرى.

بل إن الذئاب القوية قد تستحوذ على غذاء الذئاب الضعيفة في حالة ندرة الغذاء، ما قد يؤدي بالضِّعاف إلى الهلاك جوعاً، وفي حالة، إذا ما كانت هناك فريسة ما فعلى الذئب الأقل قوة أن يدافع عن حصته، وإلا سوفُ يترك جائعاً، ومع ذلك، فما زالت هذه المعلومات تحتاج إلى توثيق أشمل.

وتقتل الذئاب، الصغار التي يصيبها السعار (الصرع) epilepsy، فيأكلها الطير الجارح، أو الضباع. ولا تأكل الوحوش الأخرى الكاسرة، الذئاب، حتى لو تعرضت لاعتداء منها عليها.

وقـد تصل حياة الذئب إلـى 13 –14 سنة، بل ربما وصلت إلى 20 سنة، وإن كان الغالب أنها تعيش ما بين 8 – 9 سنوات.

2- الجراح

يتعرضـ الذئب إلى الجروح نتيجة تجواله ونشاطه المستمر، فالذئب يطوف كثـيراً، ويمر بالأحراش، ومن هنا فمـن المتوقع أن يكون من أكثر الحيوانات تعرضـاً للحـوادث. ثم إنه يقتحـم للحصول علـى فريسته شتـى المخاطر، خاصـة أن بعض تلك الفرائس ضخمـة قوية، فقد يتلقى أحد الذئاب ضربة من حافر إحداها، مما يؤدي إلى تهشيم ضلع من ضلوعه، أو تحطيم بعض الأعضاء، بل ربما أصاب الحافر رأس الذئب.

ومـع ذلك، فإن الذئاب الصغار أكثر عرضـة لمثل تلك الحوادث، وقد يموت إحداها في أثناء المطاردة، تبعاً لخبرة الحيوان المطارد وحجمه.

3- الصراعات

لا شك أن الصراعات داخل المجموعة الواحدة، أو بين المجموعات المتنافسة تـؤدي إلـى إحداث الجـراح، والتشرد، إمـا بسبب التنافس علـى الأنثى، أو الصـراع على المركز القيادي، أو على الحمى أو الغذاء إلخ. كما أن الصراع هـو أحد العوائق التي قد تحول دون الإنجاب. وهـذا كله يعود إلى الضغوط الاجتماعية.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن تحديد الحمى بالروائح، يجعل الذئب المفرد، أو المجموعة الضعيفة في خطر من اقتحامها.

4- العزلة

ربما أدت عزلة الذئب نتيجة الخلل الاجتماعي في مجموعته، أو تبعثرها، أو نتيجة لطرده من وسط المجموعة، إلى هلاكه وحيداً.

5- المرض

تهاجم البكتريا الضعاف من الذئاب، كما تقع فريسة للطفيليات، التي تسبب الأذى للإنسان، ولذلك يُنصح بتجنب براز الذئب.

ومن الأمراض التي تصيب الذئاب عندما تبلغ سن الشيخوخة -(وكما قلنا، فذلك في الأماكن المحجوزة)- أيضاً مرض آلام المفاصل خاصة في الرُّكَب، وربما كان ذلك نتيجة تعرض الذئب إلى جرح ما في أحد ساقيه. وإضافة إلى ذلك، فقد يصيب ذلك المرض العمود الفقري.

ويبين الجدول التالي عموم الأمراض المفترض أن يتعرض لها الذئب:

Adenocarcinom sarcomatodes of the thyroid
Adenomatous polyp of wterus
Arthritis
Baladder stone and chronic nephritis
Canine distemper
Carcinoma of liver
Carcinoma of neck
Carcinonia of thyroid
Carcinoma of tonsil
Chronic diffuse nephritis
Chronic interstitial nephritis
Chronic parenchymatous nephritis
Cretinism
Duodena ulcer
Encephalitis
Exopthalmic goiter
Glaners

Haemorrhagic cystitils
Hyperplasia of throid
Jaundice
Listeriosis
Multicentric hypernephroma
Myocardial and arterial degeneration
Pancreatitis
Rabies
Rickets
Salmonella infection
Salmon poisoning
Senile degeneration of kidney، liver، and heart
Tumor of lung، adrenal، kidney، thyroid، cerebellum
Viruslike disease of respiratory tract

ومـن الجدير بالذكر أن هـذه الأمراض المسجلة هـي أمراض لوحظت على الذئـاب المحجوزة، أي التي صادها الإنسان، وأخضعها للتجارب، والموجودة في حدائـق الحيوانـات. ذلك أن الذئاب الطليقة لا تعمـر طويلاً في الغالب. وبهذا فأمراض مثل:

أمراض السرطان

الفشل الكلوي

تلف القلب والشرايين

وهي أمراض الشيخوخة، غالباً ما تصيب تلك الذئاب المحجوزة.

الكَلَب

إن أهـم مرضـ معـروف يصيب الذئـاب هـو: الكَلَب: وهو مرضـ ملحوظ يصيبهـا منذ قـرون، ينشأ عـن فيروس يصيـب الدماغ، فيـؤدي إلى كسل عـام، يعقبه سيلان كثيف اللُّعـاب، مما يدفع بالذئب إلـى الهيام على غير جهة وعضـ الأحياء والجمـاد. وعندما يعض الذئب المصـاب حيواناً آخر، فإن الفيروس ينتقل من لعابه إلى جرح ذلك الحيوان الآخر، الذي قد يكون غالباً كلبا أو ثعلباً، أو حتى إنساناً.

ومـن الحـالات المرضية التي لوحظت علـى الذئاب الاعتـلال وسوء المزاج، ولعـل ذلك يعود إلى الإخفـاق في الحصول على الغذاء، وإذا لم يحصل على ما يسد جوعه، فإنه يهزل وينحل، فيموت.

أما أغلب الوفيات المرضية، فإنها ترجع إلى مرض ذات الرئة Preumonia، وإلى بعض الأمراض الجرثومية، وقد تقاوم بعض الذئاب هذه الأمراض إلا أنهـا تظل عليلة، وحالتهـا متردية، أو قد يصاحبها الاعتـلال وسوء المزاج، فينجم عنهما تقلصات عضلية، أو ضعف في الأبصار، أو خلل في السمع.

ومـع أنه ليس من المؤكد إصابة الذئاب بداء سل الكلاب distemper فربما يُفترض تعرضها لذلك.

وقد تتعرض الذئاب إلى الجرب أو الطاعون.

ويضايق الذبابُ والبقُّ الذئاب.

وقد يقطع الذئب لسانه في أثناء الأكل، فيموت.

وقد تدخل الذرات الرملية في أذنه، فتحطم سمعه.

وقد تصيبه عدوى، فيصبح أعمى، أو يخالط عينيه الماء الأبيض.

تتميـز الذئـاب بعلاقات منظمة تنظيمـاً عالياً جداً، حيـث تخضع للنظام، فتحافـظ عليـه محافظـة تامة، ممـا يتطلب قـدراً كبـيراً مـن الانضباط والمسؤولية.

وهناك تمايز حاد بين الذئاب، وبالذات في المراكز العليا، ويقل هذا التمايز في المراكز الدنيا.

وتعتمـد مكانة على السـن، فالذئاب الأكبر سناً تسيطر عـادة على الأصغر منها، وتزداد حدّة الفروقات كلما علا المركز، ويقل تبعاً لذلك.

وتحافـظ الذئاب المسيطرة على ممارسة الضغط على الذئاب الأقل منزلة، وعلى بقاء تلك الفروقات.

تمارس الذئاب ذات السن الواحدة، في المنزلـة الواحدة الممارسات نفسها التي تقوم بها بقية المجموعة.

لا توجـد تجـاوزات بين الإنـاث والذكـور، مـا دام أعضاء المنزلـة الواحدة محافظة على منزلتها.

والصغار تأسى إذا مات أحدها، وتصاب بالقلق والعصبية.

تحافظ الذئاب على مرتبتها الطبقية، وقلما تتنازل عن ذلك.

ينتمي الذئب من الدرجة الثانية beta، الذي قد يكون خليفة الذئب الأعلى، انتمـاء قرابـة إلى المجموعـة، وهو في مركـز وسط تحاول الذئـاب الأصغر الصعـود إليه، كما يحاول هـو الصعود إلى المركز الأعلـى. الذئاب الأدنى: هـي الذئاب الناشئة أو التي فقـدت مراكزها من قبل، وهي الأصغر حجماً، ويعتمـد بقاؤهـا على الحصـول على الغـذاء، كما تـؤدي ندرة الغـذاء إلى افتراقها.

ويضطلع الذئب القائد بالمسؤولية المطلقة تجاه مجموعته، وهو كثير العطف

والحنـو عليهـا. إن ما ينبغي ذكره هـو أن الذئاب التي تحتـل مركز القيادة تكـون مؤهلة فطرياً لتولي ذلك المركز، فالذئب ذو الاستعداد لمثل هذا الأمر يتميّـز بثبـات في القلب شديـد، ثم إنه يكـون أكثر يقظة من سـواه، ونظام الأعصاب عنده مختلـف من غيره، وإضافة إلى ذلك، فإن نغمة صوته أكثر رحابة. ومع كل ذلك، فإن الذئب القائد، ربما تأثر بعض التأثر جراء تنحيته عن مركزه، فيختل شيء من توازنه.

ومـن العلاقات التي تميز الذئب القائد مـن أول وهلة: أنه منتصب الرأس، رافع ذيلـه، تعكس نظراته مكانته، أما الذئب الأدنـى، فيمكن التعرف عليه من تواريـه وتهيبه، وكذلك من مظهره المتخاذل، ومـن مشيته المترددة، ثم إن ذيلـه مخفوض غير مرفوع، مجموع بين ساقيـه، ورأسه مطأطأ، وتتدلى أذنـاه، ويبدو جاذباً شفتيه، دالعاً لسانه، بـل يظهر حيادية جنسية في فترة الإخصـاب، حتى إن مـن مظاهر خذلانه أنه ينثر بولـه، وهو يجتنب النظر إلى الذئاب الأخرى، إلى جانب أنه ضعيف الشخصية أمامها. ومع كل هذا، فإن هذه الخصال في النوعين تحتاج إلى دراية ومران لاستكشاف واقعها.

والجديـر بالذكر أن عدد مجموعة ما من الذئـاب يتناقص تلقائياً في وقت الإخصاب.

وللخبير بالذئاب القدرة على التمييز بين الذكر والأنثى، كما له القدرة على تحديد عمر الذئب اعتماداً على الهيئة، أو الشكل، أو السلوك.

وكلمـا مال لون الذئـب إلى السواد، زادت قدرته علـى الصيد بتفوق، بل إن بعضـ من عاشـر الذئـاب مثـل جماعـة Nunamiut، أو ocabid يستطيع تحديـد لون الذئب من آثار أقدامه، وذلـك حسب مقياس قدم الذئب الذي ألفـه من زمن بعيد. أما الذئب المسعور، فيتبين لونه من شدة وطأة أقدامه.

وهـم يعرفـون أن الذئاب التي تنام علـى جوانب التلال تكـون سوداء اللون في الغالب. كما أن الذئـاب السوداء تختلف عن الذئاب البيضاء في عبورها سهول المنطقة القطبية الشمالية. والذئاب السوداء أشد تماسكاً من الذئاب البيضاء، والأنثى أقدر على الصيد من الذكر.

ومن علامات وجود الذئاب تجمعات الغربان.

القيادة

للى حـين يكون للمجموعة الواحـدة قائد ذكر واحد هـو الذئب الأعلى Al-phamale، فقـد تستمر القيـادة لمدة خمس سنوات، إذا مـا كانت المنطقة ذات استقرار لتلك المجموعة.

كمـا قد تكـون الأمراض سبباً من أسباب تفرقها وانحـلال القيادة. وإنه لمّا يميز الذئاب أن يكون لها قائد تتوافق في طبيعتها وعادتها معه.

وهـي تطيع رئيسها الذي يسيطر سيطـرة مطلقة عليها، ولكن دونما جَور أو طغيان، حيث يتحكم النظام فيه هو نفسه. وهو نظام تطور طبيعياً خلال آلاف السنـين، وتبعاً لهذا النظام، يتحمل الذئـب الأعلى مسؤولية تلك المجموعة، ومن ثـم يقود المجموعة وفقاً للاحـترام المتبادل والمـودة بينها، مما يعكس حكمة القائد وثقته الذاتية وحنكته، وهو يضع نفسه وقت الخطر في المقدمة، ولكـن في حذر ووعي بما يحيط به، ولهذا، فهو يسمح لرفقائه بالاقتراب من منطقة الخطر بعد أن يثبت لها أنها صالحة للارتياد. وعندما يموت القائد، تتصـارع البقية على مركز القيادة. وقد يؤدي هجـر جزء من المجموعة، أو اقتحام مجموعة جديدة، إلى فك العلاقات بين المجموعة الواحدة وتشتتها، كما تؤدي زعزعة مركز القيادة إلى ذلك.

الفصل السابع

الحِمى

المساحة

تحتل مجموعة مكونة من عشرة ذئاب قطاعاً من الأرض تتراوح مساحته بين - 1000 – 500 م^2 ، وقد تزيد على ذلك تبعاً للمنطقة وكثرة ذئابها.

التجديد

تحدد الذئاب منطقة نفوذها بالتبرز والتبول حول عدد الأماكن الشاخصة المرتفعة: كالأشجار، والأحجار، فتصبح لها بمثابة وسيلة جذب للرائحة التي تنبعث منها. وتداوم على فعلها ذاك كلما عادت من غيبتها. وتعمد إلى الخدش على الأرض، ويقوم العويل بدور تحديد المنطقة والتفاهم مع الذئاب الأخرى المجاورة.

كما تصبح الحيوانات التي صيدت من قَبْل، والتي تُركت بحذائها الأبوال والبرازات مصادر بارزة للرائحة أيضاً.

وهي تختار مسارات ثابتة ونقاطاً معينة على بعد كل 250 م تقريباً، فتضع لها علامات من تلك العلامات. وبالإضافة إلى ذلك، فغالباً ما توجد علامة ذات رائحة مألوفة مميزة لدى تلك الذئاب على بعد 125م من المسار أو الطريق. وتشترك الرائحة التي تنبعث بين الحين والآخر من تلك العلامة، مع رائحة الأقدام ورائحة الرحلات السابقة، في جعل الطريق وحدة شمية ووحدة مرئية كذلك، مما يجعلها مرتبطة بالإدراك لديها.

ولا ينحصر نشر الروائح على المسارات فقط، بل تعمد الذئاب إلى نشرها بشكل مركز على نقاط حدود منطقتها، وذلك إما لقربها من منطقة حدود ذئاب أخرى، أو لأنها تنوي تجاوز تلك الحدود. وأكثر ما يكون ذلك من الذئاب العليا. وقد تساعد روائح المجموعة الأخرى، على تحديد عدد المجموعة التي قامت بنشر تلك الروائح. ويحدث أحياناً أن تتجاوز مجموعة

من الذئاب، خاصة قائدها الأعلى، حمىً ما، فتقع اشتباكات بين الطرفين.

ومـع أن تحديد المساحة أمر معروف عنـد الذئاب عامة، فإن ذئاب السهول الجـرداء في المنطقة القطبية الشمالية Tundra، لا تتمسك بذلك التجديد، ولعـل ذلك يعود إلـى تباعد مناطق الصيد، مما يجعل هـذه الذئاب نفسها ذئاباً مهاجرة.

الجوار

تحـترم الذئاب الأخرى المنطقة المحجوزة لغيرهـا، والتي تُعَدّ من ممتلكات المجموعـة الأخرى، إلا أن يقع ما يدعوها إلى تجاوزها، فإذا وقع صدام بين مجموعتين مـن الذئاب، فإن المنتصر هو الذي يسيطر. ومع ذلك، فإن مثل هـذا الصدام نادراً ما يقع؛ لأن لدى الذئـاب شعوراً بأحقية الأرض. ويؤدي ذلك الشعور المتميز لديها نحو جيرانها إلى عدم تجاوزها ذلك، ثم إلى عدم الارتياح لمثل هذا العمل.

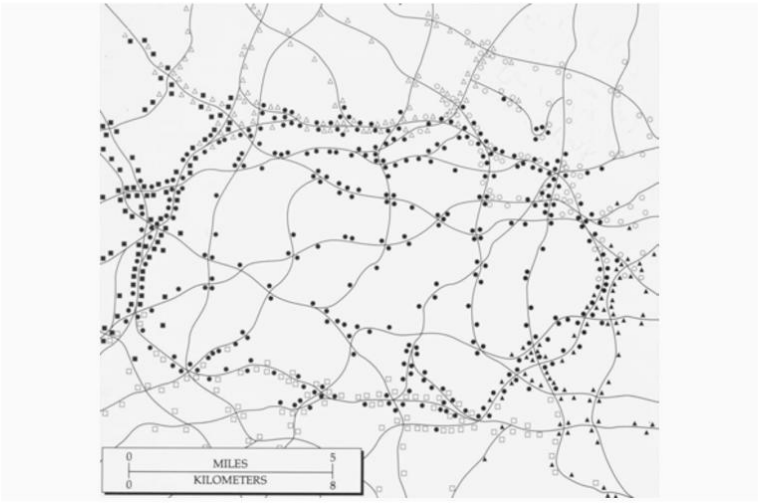

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية للذئاب

السلوك

كثيراً ما يعتمد سلوك الذئب على طبيعة المكان، والحيز الزماني، والطبيعة الذاتية للذئب نفسه، إضافة إلى العلاقات الاجتماعية الخاصة بالمجموعة الواحدة.

التفاهم

تحرص الذئاب على التفاهم فيما بينها داخل المجموعة، فهي عندما تلتقي بغيرها من مجموعتها- حتى لو كانت قد رأتها قبيل فترة وجيزة- تحييها بود واستعراض، ومن وسائل التفاهم الاحتكاك الجسدي، وتعبيرات حركات الجسم والرأس والذيل، وتلعب انطباعات الوجه والذيل دوراً مهماً. كما أن انخفاض مؤخر الجسم، وبصبصة الذئب، وانبساط الأذنين وانتصابهما، وتقوس الظهر، وانتفاش الشعر، وتدلي الشفاه نحو الأسفل...، هي من مظاهر ذلك التفاهم بينهما. وتكون التحية ببصبصة الذيل، وبوضع مقدم الرجل على ظهر الآخر، وطرح الأرجل على الأرجل الأخرى، ثم يقبّلان بعضهما ويتلاحسان، ومن بعد ذلك يتطاردان، فيلحق أحدهما الآخر في لعبة ودية. وكثيراً ما تكون هذه الصورة هي الصورة بين الذئب وأنثاه بعد رحلة صيد يقوم بها الذئب، وإن كانت هذه هي طريقة الذئاب في العادة.

أما عند لقاء الغريب، أو الذئب من المناطق المجاورة، فإن كليهما يرفعان رأسيهما، وتنتصب أذناهما، ويتقوس ظهر كل واحد منهما، ثم يقترب الواحد منهما بالآخر في حذر، وهما يزمجران، فينتصب ذيلاهما، ويبدآن بالتشمم، للتعرف على رائحة كل واحد منهما، ثم يبدأ كل واحد منهما بتشمم بول الآخر، وربما ابتدأ أحدهما في مطاردة الآخر في لعبة ودية كذلك.

والذئاب اجتماعية، وهي تسعى عشرات الأميال، بل مئات الأميال في البحث عن رفيق.

المجموعة

تتكون المجموعة من ذئبين إلى 20 ذئباً. وغالباً ما تتكون من 4-8 ذئاب، إذ يمكِّنها هذا العدد من الصيد وإيجاد الغذاء الكافي.

أما المجموعة الكبيرة، فتحدث فيها اشتباكات تؤدي إلى انقسامات فيما بينها، وغالباً ما تكون المجموعة ذات قرابة واحدة.

وعلى العموم، فإن عدد المجموعة يتوقف على الصيد نفسه، فإذا كانت منطقة الصيد ذات صيد وفير، كبُر العدد، وإذا انتقص، نقص العدد. أما إذا رأينا مجموعة كبيرة نوعاً ما، كأن يصل عددها إلى 36 ذئباً، فقد يعني هذا أن مجموعات ذات قرابة واحدة ارتبطت ببعضها.

وعادة ما تكون الذئاب مجتمعة في الشتاء ومتفرقة في الصيف.

اللعب

لقد ثبت، على عكس ما يشاع عن الذئاب، أي: أن الذئاب تمارس اللعب والمزاح وفقاً لمرتبتها الطبقية في وسط المجموعة.

يأكل الذئبان القائدان أولاً، ثم تتبعهما الذئاب الأخرى، أو يحاول إحداها اقتناص فرصة أكل من طرفيهما.

طقوس لقاء الغرباء

تمارس الذئاب شعائر مع الذئاب الغرباء بكل حذر، وبمشاعر متداخلة، عند التقائها لأول مرة، فعندما يأتي غريب، ترفع الذئاب رأسها، وتنصب

آذانهـا، ثم ينتصب قائد المجموعة، ويتجه نحو القادم الجديد، ثم تنتصب بقيـة المجموعـة في آن واحد. وتقتدي بمـا صنعه قائدها، فترتفـع رؤوسها، وتنتظر دون حِراكٍ، تحركات ذلك القادم. وتظل ثابتة على هذا الوضع. ثم يتقـدم القادم الجديد خطوات على حين ترصـد المجموعة حركاته، لتكوين انطباعٍ عن قبوله أو رفضه، حسبما يقضي به موقف قائدها.

ذلـك هو الموقف المبدئـي من الغريب لقبوله بالانضمـام إلى المجموعة أولاً. كمـا يتوقف ذلك علـى مزاج المجموعة ومـزاج ذلك القـادم أيضاً. وحسب تكوين كل منهما كذلك.

ولا يعنـي اقتراب الغريب الذي يريد الانضمام إلى المجموعة، أنه على الثقة من أمره، وعلى العموم يظل ذلك القادم يقترب بحذر شديد فيما يدرك أن عليه أن يكون شديد الحيطة، ولكن عليه أن يمارس تلك الطقوس.

ويظـل مقتربـاً مـن المجموعة ببـطء شديـد، وهو يـؤدّي طقوس الخضوع والخنـوع، مشعـراً القائد أنه إنما جـاء مستسلماً بين يديـه، فهو يبصبص بذنبه بصبصة استلطاف، مبدياً من شفتيه ابتسامة صداقة وود.

وبعد أن يخطو بضع خطوات يقف ثابتاً، ويبصبص بذنبه بصبصة أكثر، ثم يُخرج صوتاً رقيقاً يلتمس فيه من المجموعة قبوله.

وهنا يتحرك واحد من المجموعة نحوه، ويتحرك آخر، فيدفعه دفعة خفيفة، والقادم الجديد يظهر قبوله كلَّ ذلك.

أما القائـد، فيقف ثابتاً في مكانه، متهيئاً، ونظراته متصلبة، ثم يتقدم نحو ذلـك القادم، ويزمجر، وفي الحـال تتوقف المجموعة عن إبـداء أيه حركة، ويظـل القـادم مستمـراً في البصبصة بذنبـه، ويتقدم خطـوات محدودة، ويصيء بانخفاض وهو يتضرع للمجموعة.

ثم يزمجر القائد، فتحدق المجموعة بالقادم الجديد، وهو يبصبص بذنبه، ويبيِّن لها حسن نواياه، مبدياً ابتسامة الصداقة والخضوع. ولقد جاءت الآن مرحلة الامتحان الأكيد.

الرفض

يحتك به القائد ويشمه، ثم يطرحه أرضاً. إن ذلك طبيعة تعرفها كل الذئاب غريزياً.

ثم يندفع القائد فجأة نحوه، فيصدمه بكتفيه، فيسقط على الأرض. وفي الحال يقبض القائد على أحد أقدام الذئب المرتجفة. وفي هذه اللحظة تقفز المجموعة، الواحد بجنب الآخر، وقد كانت من قبل تكتفي بموقف التهديد. وتؤلم عضاتُ الذئب القوية الذئبَ القادم، ولكنها لا تؤدي إلى نزيف الدم. وإلى جانب ذلك يقوم القائد بعَضّ القادم في منطقة مكشوفة من بطنه حتى يسيل منها الدم. ويثير هذا المنظر بقية الذئاب، كما تثيرها أيضاً رائحة الدم. وهنا على القادم أن يترامى بنفسه حتى ينجو من الأفواه التي تلهث الآن حوله.

ويدرك القادم أن ذئاب هذه المجموعة ليست راغبة فيه، بسبب موقف قائدها، وأن شيئاً سيحدث له إن لم يفر منها وهو المعتاد. ولكن قد يغضب ويواجه القائد متجاهلاً بقية المجموعة التي تنقض عليه، مدركاً أن تردده سيؤدي إلى موته.

ثم يهرب هذا القادم من أمام المجموعة وقائدها، فتتوقف عن مطاردته.

القبول

أما في حالة الاستعداد للاستقبال، فتكون الدفعات والعضات من القائد

يسيرة، تبعث الإحساس لدى القادم بالاستعداد لقبوله.

وإذا ما أحست المجموعة بالصفاء بين الاثنين، تتفرق وتترك القائد والقادم لحالهما، ومن بعد هذا يذهب القادم لينضم إلى الذئاب التي هي من سنه، ويصبح واحداً منها.

وعلى الرغم من ذلك القبول يصبح الذئب الجديد من الدرجة الدنيا؛ لأنه دخيل على المجموعة، وعليه أن يناضل من أجل الصعود إلى درجته.

الذئب والكلب

وإضافة إلى ذلك، فإنه إذا أمكن أن يتعايش الذئب والكلب في محيط واحد، فإن القبول بينهما أسرع من كونه لقاءً بين ذئب أجنبي وآخر.

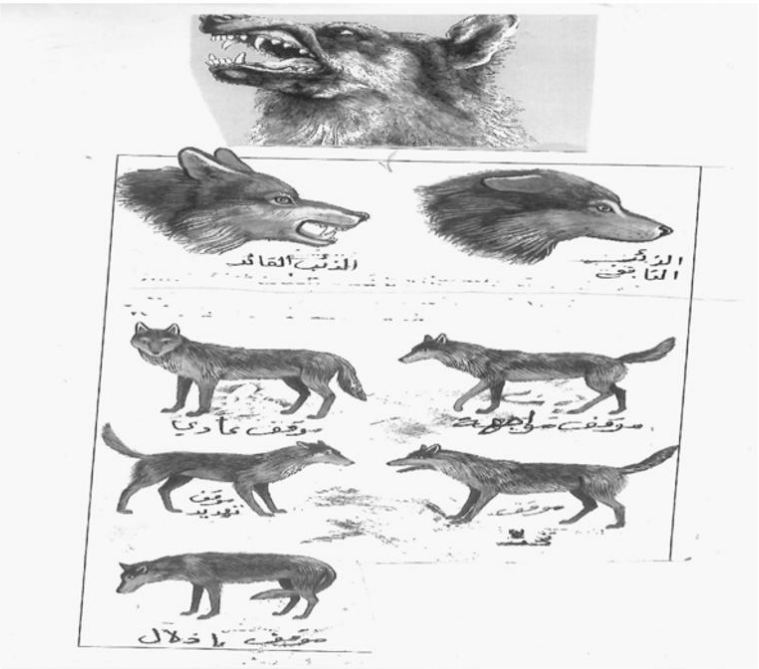

الصوت في الحياة الاجتماعية للذئاب

أهدافه

إن عـواء الذئب هو نوع من العواء الذي أصبـح نباحاً للكلب بمضي السنين. وإن أهـم ظاهرة من الظواهـر المثيرة والجديرة بالملاحظة في حياة الذئاب هو ذلك العواء، حيث يمتد مشكِّلاً طبقة صوتية متموجة مترنمة، ممطوطة، ذات نـداء بدائي متناغـم، تتجاذبه حوافز متنوعة، لم نزل على غير إدراك بها، فلكل ذئب نغمته الخاصة به.

وهنـاك رأي يذهـب إلـى أن الذئاب تعوي مـن أجل أن توقع مـا يقترب من مجموعتها في بلبلة عدوانية متوقعة؛ ولذا، يُحدث ذلك الامتزاج في اختلاف طبقـات الصـوت، عندما تعوي المجموعة عـواء متوحداً، تأثـيراً بأن هناك ذئاباً كثيرة أكثر مما هو متوقع. وتزعم هذه النظرية أنه عندما تكون صغار الذئاب منفردة، تعوي عواء أشد عمقاً يتولد عنه انطباع بأن الذئاب الكبيرة تقف بجانبها، وبهذا يمتنع غيرها عن الاعتداء عليها.

ولكن هذه النظرية تواجه اعتراضين:

الأول، أنـه لو حـدث ذلك حقيقة، فإنه لا بد أن تشتبـك الذئاب مع بعضها، وهذا مما لا يقع بالتأكيد.

الآخـر، أنها تتجاهل أن صغـار الذئاب تكون منذ البدايـة في أمن كبير من إمكانيـة الاعتـداء عليهـا عندما تعلَـم الذئاب الكبـيرة المسؤولـة عنها أن حضورها لا يعرف من خلال العواء.

فلماذا، إذن (تغني) (تعوي) الذئاب؟ إنها تعوي عندما تكون فرحة، وعندما تكـون حزينة. إنها كالإنسان الذي يقف أمام البيانو، إنها تغني (تعوي) قبل

الصيد، ولعل ذلك فرحاً وابتهاجاً، وهي تدعو بعضها للالتحام والثبات. والذئب يعوي يدعو صاحبه، كما يبلِّغ العواء بقية الذئاب أن الحمى أصبح مهدداً، بل يؤكد لها مواقع الروائح التي عثر عليها ما تقدم منها، بل يؤكد التعايش بسلام مع الذئاب الأخرى في مناطق الحمى المجاورة. إنها (تغني) قبل كل شيء؛ لأنها جذلى.

ومن مظاهر العويل أن يكون القائدان (العادة هما الأم والأب) رافعي رأسيهما، ناصبي آذانهما، شادَّي ذيليهما إلى الأعلى، تتجول نظراتهما محدقة في بقية المجموعة. أما المجموعة، فتثني أقدامها خافضة أذيالها، مرخية آذانها إلى الخلف. وربما حاول أحد التعبير عن استقلاليته بانتصابه، ولكن الكل فاغر فاه، منهمك في العويل.

أنواعه

الزمجرة

الزمجرة صوت عميق أجش قوته 250 –1500 دورة تردد، نبراتها نحو 800 دورة تردد. وحيث إن الزمجرة تستغرق بضعة أعشار الثانية أو عدة ثوان، فإنها قد تُسمع على بعد 200م.

ومن مهمات الزمجرة: التهديد أو التحذير، أو تأكيد أن الذئاب عند الأكل أو الحاجة، وفي حالة المواجهة، قد يصاحبها لرفع الذيل، وثبات السيقان، ووقوف شعر الظهر.

يحدث عندما لا تكون هناك اشتباكات، وعندما يقوم الذئب بإبداء التحية لمن هو أعلى منه منزلة، وكذلك، قبل الاتصال الجنسي. وقد يصيء أحد الذئاب الصغيرة أو الأدنى منزلة أثناء العويل الجماعي.

العواء

هـو صوت قصير، هادر، قد لا يستغرق ثانية واحدة، وقد يأتي خلال العويل الجماعي، ولكن العويل الجماعي يغلب على العواء عندما يلتقي ذئب بآخر. ولا يستمـر عواء الذئب طويلاً مثل نباح الكلب، ولكـن العواء يشتد كثيراً في الليالي المقمرة.

إنه الخاصية البارزة في صوت الذئب، ويمكن وصفة بأنه: مستديم، وعميق، ونائـح، وموحش، وهو يشبه أصـوات اثنتي عشرة سكة من سكك الحديد في قبضـة واحدة، فتتساقط الواحدة تلـو الأخرى، فينفذ آخر دوي لها مخترقاً القلب والروح.

يستغـرق زمنـه من حوالي 5 ثوان إلى 11 ثانية، بنحو 150 – 780 دورة. وفي حالـة التجاوب بين ذئبين قد يستغـرق 35 ثانية. أما إذ حدث من مجموعة، فإنه يكوّن جوقة.

العويل

تأتـي أعمق أصداء العويل مساء وصباحـاً، خاصة السابعة مساء، والواحدة صباحـاً. ومع أن أغلب أوقـات حدوثه هي في الظـلام أو الفجر، فقد يُسمع أيضاً نهاراً، ويتضاعف حدوثه في فترات التناسل: خاصة قرب فبراير، كما ينخفض عقب ذلـك في أوائل الصيف، ثـم يبدأ بالزيـادة في يوليو وخلال الصيف، ولكن الذئاب لا تمارس العويل في ضوء القمر.

يبـدأ أحد الذئاب بالعويل، وليس من الضروري أن يكون من الذئاب العليا، فتنضم إليه بقية المجموعة، فتحرك أذنابها وتصيء، وتمسح الذئاب الدنيا أنوفهـا ببعضها. ترفع الذئاب رؤوسها بحيث يكون أنفها البارز متوجهاً نحو الفضـاء، وآذانهـا منتصبة، ثم تبـدأ في العويل، ويبدو صوتهـا عميقاً حادّاً

على شكل: آ–وه، آ–وه، آ–وه. وبعد عويل أو عويلين تنتظم المجموعة في جوقة واحدة، ويأخذ كل ذئب بارتفاع وانخفاض في عويله، وقد يصل معدل العويل إلى 85 ثانية.

ويُسمع العويل على بعد 65 كم، أو أحياناً على بعد 16 كم، إذ يعتمد كل ذلك على طبيعة المنطقة، ففي الليل مثلاً قد يسمع في حدود 50 – 140 ميلاً.

ويعود ذلك التنغيم في العويل إلى أن كل ذئب ينسِّق عويله وفقاً للآخر، فعندما يُعْوِل ذئبان، يغيّر أحدهما نغمته بسرعة بحيث تصبح النغمتان ذات صدى خاص يرعب سامعه.

ومن الملاحظ أن صوت الذئب يمتاز بالعمق أثناء العويل، بينما يمتاز صوت الذئبة بالحِدّة، أما صغار الذئب، فأصواتها ذات نبرة.

وإضافة إلى ذلك، فإن الذئاب الأخرى، إذا ما سمعت عويل مجموعة ما، فإنها قد تستطيع أن تميز مكانة هذه المجموعة الاجتماعية، وحجمها إذا ما أعقب هذا العويل فترة صمت تستغرق ما بين 15 –30 دقيقة، ولكن العادة أن تنفعل تلك الذئاب بأصداء العويل، فتصدر هي نفسها عويلاً آخر استجابة لذلك العويل، فتشكل جوقة، كما ذكرنا سابقاً، وعلى هذا يعتمد تحديد المنطقة.

أما العويل، فمن أهدافه التحية وممارسة الطقوس، وهو كذلك وسيلة تجمّع خاصة من الذئب المبعد، أو عند تفرّق المجموعة، وهو أيضاً إعلان للصغار بالعودة.

ثم إن الذئاب تلجأ إلى العويل قبيل مغادرتها للصيد في الظلام، على أنه تنغيم لحني، ربما مثل الموسيقي العسكرية، لبث روح الشجاعة والفتك في أفراد المجموعة.

وللعويل دور مهم في تنبيه مجموعات الذئاب الأخرى في المناطق التي يتوافر فيها الغذاء، إذ هو بمثابة نشيد فرحة وابتهاج برؤية الصيد القادم في أعداد كبيرة.

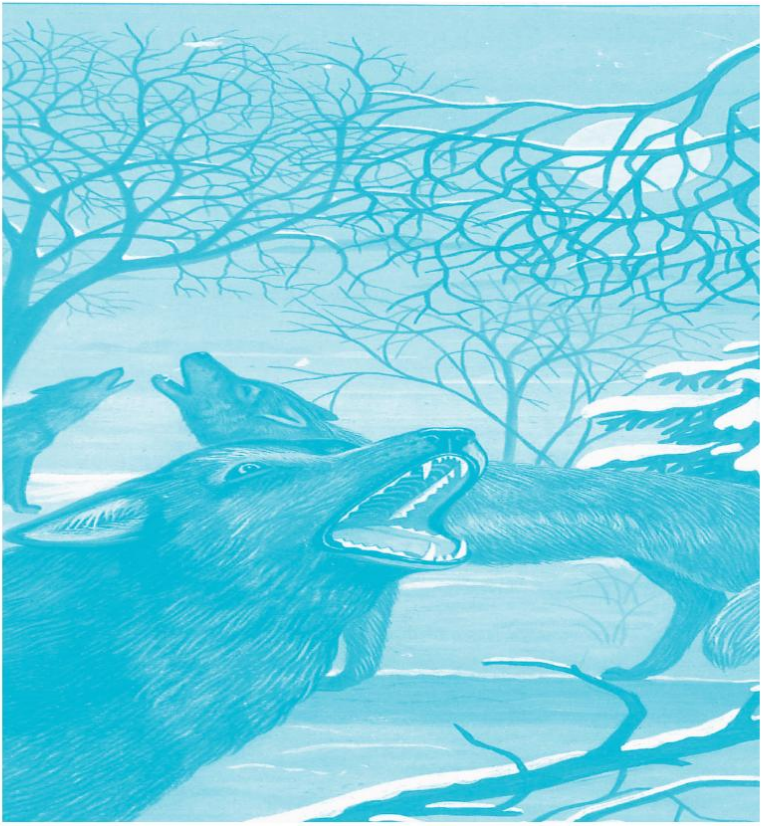

ذئاب في حالة عويل

الصراع

وعلى الرغم من أن التراث العربي يؤكد أن الذئاب تأكل الجريح منها، مهما كانت صلة قرابته، فإن العلم المعاصر لا يقر هذا الادعاء، الذي لم يذكره قط إلا كتاب قديم مطبوع (سنة 1846م) ألفه أوليفر جولد سميث Oliver Goldsmith، جاء فيه، ص 388:

(تهيج الذئاب هيجاناً شديداً لرائحة دماء بعضها بعضاً، وعندما يجانب الحظ أحدها، فيُجرح، تتعقب البقية دمه السائل منه، ومن بعد ذلك فلا رحمة ولا شفقة).

ولكن لا يوجد قتل حقيقي بين أعضاء مجموعة الواحدة، كما لا توجد عندها معاملة سيئة تؤدي إلى موت الصغار، بل لوحظ عطف الذئاب غير الأبوين على الصغار، كما ثبت أن بعض الذئاب تساعد رفيقها المصاب أو العاجز مؤقتاً عن الصيد.

ومع ذلك فقد لوحظ عض شرس بين ذئبين، أو مجموعة من الذئاب، وإن كان من الملاحظ أيضاً أن الذئاب تنسى خصوماتها، وقد تعمد إلى لحس جراح الآخر.

وعلى العموم، فكل طبقة تتصارع على مركزها في طبقتها.

صراع المجموعة

يندر حدوث اشتباكات في نطاق المجموعة الواحدة، فقد يتواجه اثنان، ويستعرضان قوّتيهما، ولكن سرعان ما يبتدئ الذئب الذي يحتل منزلة أدنى بالانسحاب، فإذا ما حدث أن اصطدام اثنان من مجموعة واحدة، فإن الذئب المسيطر، أو الذئب الذي يحتل منزلة أعلى، يؤكد موقفه باستعمال فكيه للتغلب على خصمه الذي يَقِلّ عنه منزلة، وطَرْحِه أرضاً، ولكن فكيه لا

ينطبقان على ذلك الخصم.

وتعد هذه الظاهرة من فنون الطقوس بين الذئاب، فلا يعاني أحد من المجموعة جراحاً جسدية، وذلك فيما عدا التنافس حول الأنثى، أو على المركز القيادي، ومن النادر أن تؤدي الاشتباكات إلى جراحات دامية حادة، وقلما أدى الصراع إلى موت، وذلك على الرغم من أنه لوحظ في بعض الحالات النادرة عض شرس في مرحلة الصراع على السيادة على مركز القيادة.

أثر الدورة الفصلية

يرجع الصراع داخل المجموعة الواحدة، أحياناً إلى عنصرين:

التنظيم

تحدث اشتباكات بين الذئاب يعود سببها بشكل رئيس إلى ارتخاء سلطة القيادة، مما يؤدي إلى حدوث التغيرات في العلاقات بين الذئاب في المراتب الصغرى. كما تعود إلى الطموح المستمر من الذئاب الأدنى للوصول إلى مركز القيادة، ولكن قد يؤدي الاتساع الكبير في حجم المجموعة الواحدة إلى انقسامها إلى مجموعات أصغر، وبذلك تزداد حدة الصراعات لضيق المساحة التي تعيشها، فتتعرض المجموعة الأصغر إلى الهلاك.

الترتيب الطبقي والتناسل

تشتد في أواخر الخريف، أو أوائل الربيع شراسة العداء داخل المجموعة، وذلك قُبيل فترة التناسل. وفي أوج فترة التناسل تزداد الاشتباكات ضراوة، فيحدث عض بالأنوف، وقد يصاب الذئب المغلوب بعدة إصابات ذات جراحات دامية.

وعندما تظهر الصغار بعد عملية الإخصاب التي تستغرق حوالي 63 يوماً، تحدث اشتباكات عنيفة أيضاً.

ثم تبدأ الروح العدوانية في التراخي صيفاً في أثناء نمو الصغار، ولكن الذئاب لا تعتدي على الصغار الرُضَّع.

وفي أواخر الخريف الجديد تبدأ الكَرّة التي بدأتها في أواخر الخريف السابق، محتفظة بذكرياتها السابقة. وعلى العموم، فإن سلوك الذئب يتغير في الأيام المقمرة، وفي منتصف الشهر الهلالي، فالليل يغدو كالنهار بالنسبة لها، وهي تكون شبه متوترة، ومع أن أكثر أوقات الصراع هي في شهور الشتاء، فإن الصراع ينخفض في الصيف، لما لذلك من علاقة بالاتصال الجنسي والتناسل. والملاحظ أن الذئبات أكثر عدوانية من الذئاب.

ومن البديهي أن اتساع حجم المجموعة له دور مهم في زيادة الاشتباكات وحدتها.

وعلى الرغم من أن الذئاب تحافظ على تسلسلها الطبقي، فقد يحدث أن يحاول أحد الذئاب الصعود إلى مرتبة القيادة، ويحاول طرد القائد، فتتبع بقية الذئاب التصرف نفسه، وعموماً، فكثيراً ما تحدث نزاعات داخل المجموعة عندما لا تتقيد الذئاب بالتدرج الطبقي.

المجموعة الأخرى

دلت الملاحظات على أن الصراع يكون عنيفاً ودموياً، بل قاتلاً، أحياناً عندما تصطدم مجموعتان، حيث تتخذ الذئاب فيه موقفاً بارزاً. والعادة أن يبدأ الصراع بمناوشة أحد أعضاء المجموعتين بالآخر، ولكن كثيراً ما تكون صغار الذئاب خارج هذا الصراع. وغالباً ما يكون ذلك بسبب الغذاء.

صراع الذئبة

تقوم الذئبة العليا بهجوم أكثر عدوانية عندما تطارد ذئبة أقل مرتبة منها، فهي تسعى إلى القبض عليها، وقد تشترك معها الذئاب التي تقف بصفها، وبالذات الذئبات، فإذا ما نجحت في القبض عليها، فإنها تتعرض إلى عض شرس.

وعند الهجوم تعدو الذئبات الأقل مرتبة منفصلة عنها، وتحاول أن تطيل المسافة التي تفصل الذئبة المطارِدة عن الذئبة المطارَدة، كما تواصل العدو حتى لو توقفت المطاردة. ثم تختفي عن ناظري الذئبة العليا ومن يقف بصفها. ولكنها تلعب دوراً مهماً في فض المنازعات بين الذئاب، وتساهم في ذلك مساهمة كبرى، فهي لا تكتفي بتنحية الذئبات الأخريات وعضها، بل الذئاب الذكور أيضاً. ويقف بجانبها حينئذ الذئب الأعلى ثم الذئاب كافة.

وقد تشترك الذئبة العليا في الهجوم على صاحبها الذئب الأعلى في حالة ضعفه، أو عدم استقرار منزلته، ما ييسّر لها الحصول على بديل آخر، فيعود الاستقرار إلى المجموعة.

صراع الذئب

أظهرت كل الذئاب الذكور التي تحتل مركز القيادة The alpha نوعاً من التسامح غير العادي في صراعاتها، ويتميز الذئب الأعلى بالتسامح مع بقية المجموعة، إلا أنه عنيف مع الغرباء، فصراعه مع الذئاب الأخرى من الطبقة العليا هو صراع لا رجعة فيه، إنه يشبه البركان.

صراع الذئاب

لقد لوحظ العض الشرس بين ذئبين أو مجموعة من الذئاب كما ذكرنا، فعندما يضطرب المهاجَم عند إحاطة الذئاب به، يندفع إليه المهاجِم، ويعضه في جهات بارزة من جسده. ويتبين من الاندفاع الشديد نحوه، وهي تهز رؤوسها، أن هدفها هو إلحاق ما أمكن من جراح شديدة به.

ولكن الاستثناء الوحيد في نوع الذئاب، هو الذئب المسمى الكويوت Koyote، إذ تسارع الذئاب الطُّلس إلى قتله، حينما تواتيها الفرص، ولكن نادراً ما تقتل ما يحيط به من أفراد عائلته.

الذئب المبعد

إذا ما فقد أحد الذئاب الصراع باستمرار، فإن المجموعة تركِّز عليه هجومها، مما يجعل ذلك الذئب مبعَداً منبوذاً، وقد يؤدي به الأمر إلى مغادرة المنطقة، ليكوّن علاقة أخرى مع ذئب مثله، وقد يتعرض للهلاك جوعاً، وربما سُمح له بالعودة إلى المجموعة والاندماج فيها في فترة الهدوء نسبياً صيفاً.

ولكن الذئب المغلوب، إذا ما ظل مع المجموعة، فإنه لا يحاول توسيع المسافة التي تفصله عنها، ويظل محافظاً على المسافة، أما الذئبة الأقل مرتبة، فهي تميل إلى الاحتفاظ بمسافة بعيداً عن الذئبة العليا The Alpha وعن الذئاب الأحداث التي تقف بصفها. إن ذلك المبعد، يعكس شخصية ضعيفة متهاونة، Omega wolf أو Scape goat.

من صور الصراع

مـن أشكال الصدامـات المشاهـدة: أن ذئبة قائدة لا حقهـا في بدء نزوتها ثلاثـة ذئـاب من مستويات ثلاثـة، منها ابنها البالغ سنتـين. اقترب الذئب مـن الدرجة الثانية Beta منها، واشتم فرجها anoganila region، فتقدم الذئـب الأعلى رفيقهـا الأصلي من الذئب الأدنى، وواجـه كل منهما الآخر. فارتفـع ذيل الذئـب الأدنى عالياً في شكل تحد، وانتصبـت أذناه إلى الأمام قليـلاً، وامتد واقفاً على قدميه بكل ثقة تبعث الرعب في خصمه. أما الذئب الأعلى، وهو الأضخم حجماً، والأكبر سناً، فقد أمال أنفه نحو الذئب الأدنى، وأصبـح ذيله ملتوياً نحو الأسفل، وانضغطت أذناه على جانبي رأسه، وأبدى شفتيه عالياً، وكشر بأنيابه، ودمدم وزمجر. راح الذئب الأدنى يدمدم بعمق وشـدة. وقد استمـر هذا المشهد بضع لحظـات، إلا أن الذئـب الأعلى ابتدأ أخـيراً في الانسحاب والتراجع، وتحولت زمجرته إلـى أنين، والذئب الأدنى ينظـر إليـه، وناباه بـارزان، ثم تراجع عنـه منهياً الصـراع، ومضى يساير الذئـب الأعلى. ثم إن الذئب الأعلى زحف على قدميه، وتابع المجموعة. وقد عادت الكرة بينهما على هذه النحو بعد حين.

صور أخرى

ذئـب وافد علـى منطقة ذئاب غريبة عنه، تقدمـت إليه مجموعة من ذئاب المنطقة وأحاطوا به، ثم إن بعضاً منها ابتدأ يعضه حتى طرحه أرضاً.

تعبير عن التفوق في وسط المجموعة
وضع مسالم
وضع مهزوم
وضع تحدّ
هجوم
وضعٌ بين التحدّي والدفاع
ووضع ليس تحدّيا واضحا
ووضع انتصار
هزيمة مطلقة

الفصل التاسع

الغـذاء

بدايته

يستطيع الجرو في أسبوعه السادس أن ينهش اللحم من على العظام، إذ يتعلم الصيد منذ حداثته، خاصة في شهر أغسطس، وتصبح الفئران فريسته الأولى، وفي الخريف يصبح في حجم الكبار، فيقف إلى جانبها.

أما في الشهر العاشر من عمره، فيستطيع أن يصطاد أرنباً كبيراً، وأن ينهب دجاجة.

طريقته

يسلخ الذئب جلد الشاة ليصل إلى اللحم. ويفضل أكل العَجُز، وجزءاً من الأحشاء، ولكن الذئاب كثيراً ما تمزق فريستها شر ممزق، وتتركها أشلاء.

ثم إن من عادة الذئاب أن تنوع في مناطق صيدها، فقد تفترس مرة هنا، ثم ترحل إلى مكان آخر، وقد تعود إلى منطقة الافتراس الأولى، وهلم جرا، ولاسيما إذا كانت منطقة الصيد من نوع واحد.

نوع الغذاء

تصطاد الذئاب الحيوانات الكبيرة مثل الأيائل والـElch، كما تصطاد الأبقار الوحشية، والخراف، والأغنام، والغزلان، والأرانب، والسنجاب، والقندس، وهي تفضل أمهار الخيل، والعجول في حالة عزلتها غالباً، وإلى جانب ذلك تصطاد الفئران والضفادع، وقد تأكل حيوان الرنة بعد قتلها ببضعة أشهر، وتستخدمها طيلة العام.

وفي حالات الجوع الشديد تأكل الحيات والديدان والقواقع، كما تأكل الجعلان الكبيرة، بل إنها في حالات المجاعة تأكل النباتات الخشنة Wildobst، وثمار الحقول، وقد لوحظ أنها تقضم الأعشاب أيضاً، وإن كان يعسر عليها هضم

النباتات الخلوية.

كما تأكل الفواكه، وبشكل خاص الكرز والخوخ، أما التفاح، فربما عضته أو لم تلامسه، وربما يعود ذلك إلى يبوسته. وهي تحب، عندما تكون جائعة، التهامَ الأحشاء: القلب والرئتان والكبد...، ولا تأكلها أولاً، لأنها غنية بالدهنيات.

وللذئاب مقدرة فائقة، عندما لا يتوافر لها الطعام على هضم العظام القديمة، ويستطيع الذئب أن يأكل 10 كغ لحماً يومياً، ويعتمد هذا على سن الذئب، حيث تتناقص الكمية التي يأخذها كلما تقدمت به السن.

ولكن اهتمام الذئب ينصب باستمرار على اللحم الطري، وقد يحاول أحياناً أن ينفذ من خلال النافذة إلى مخازن الطعام في البيوت.

كما يعمد إلى أماكن المياه القليلة الغور، فيصيد الأسماك إن وُجدت بها. وربما أكل الجيف في حالات المجاعة الشديدة جداً.

تقسيمه

يعد شهر سبتمبر من الأشهر الجيدة بالنسبة للذئاب في نصف الكرة الشمالي، وهي تأكل الثلج للتغلب على عطشها.

ومما لا شك فيه أن القيادة العليا لمجموعة ما من الذئاب، تبذل جهوداً كبيرة في سبيل تلك المجموعة، وهي لذلك لابد أن تحافظ على قوتها باستمرار. وفي هذا المقابل، تتمتع تلك القيادة بالأولوية في تناول الغذاء، وعندما يكون هنالك مقدار كاف من الغذاء، يمكن للذئاب الأقل منزلة تناول الغذاء مع قيادتها، وذلك بعد أن تشرع تلك القيادة في الأكل، وفي إرضاء شيء من جوعها، وإلا فإن الغذاء يبقى لتلك القيادة.

والظاهـرة الواضحة، عموماً عند الأكل، هي أن الذئاب تتزاحم عليه بحيث يظل الأقوى مستحوذاً على أكبر مساحة منه، وكي تحصل الذئاب على شيء مـن لحم، عليها أن تتحايل لتنتهز فرصة تتيح لها خطف قطعة، أو أن عليها أن تنتظر حتى يفرغ القائدان من أكلهما.

ومع اشتهار الذئب بالجوع الشديد، فإنه حين يأكل يأكل أقل مما يأكل الكلب العـادي، على الرغم من حجم الذئـب مقارنة بالكلب، فالذئب حين يشبع لا تغريه لذة الأكل بالزيادة منه.

تخزينه

علـى الرغـم مما يشاع عـن الذئب بأنه لا يـأكل إلا جزءاً مـن فريسته، مع أنه يحـدث عطباً وتلفاً كثيراً في الحيوانات التـي يهاجمها، فإن الملاحظات الميدانيـة تـدل على أن هذا غـير صحيح، إذا قد يعاود الكـرة نحو الفريسة المقتولة تّواً، أو بعد فترة، إلا إذا كان الصيد وفيراً جداً. ولكن ربما كان ذلك الادعاء صحيحاً بالنسبـة للحيوانات الأهلية كالأبقار والأغنام والخيول، إذ ربما أكل بعضهما وترك بعضهما. أما القطط والكلاب، فإن الذئب عادة ما يلتهمها بأكملها.

ولا يزال هناك سؤال مطروح: إلى أي مدى يحتفظ الذئب بطعامه؟

والواقـع أنه ليست هنـاك إجابات دقيقـة. فقد عثر ميرتـك Mertc (سنة 1953م) علـى قطـع من اللحم مقيئـة بالقرب من مسـارات الذئاب، حيث اتَّخذت طعامهـا ليلاً، فالذئاب الجائعة تملأ معدتهـا بإفراط، ثم تتقيأ ما ابتلعته من اللحم ثانية حالاً. وحسب وجهة نظر سيمينوف (سنة 1979م)، فـإن الذئـاب تعمـد إلى هـذه المقـدرة لنقل أجـزاء مما حصلـت عليه من غنيمتها إلى مواقع أخرى، فإذا التهمت صيداً كبيراً، فإنها تجري بعيداً إلى

مسافة 50 متراً، ثم تقيء ما التهمته وتطمره. ويقدر وزن ذلك الجزء المقيء بحوالي 6 – 25 كغ.

قد يستغرب المرء بعد ذلك من قدرة الذئاب على الالتهام إذا ما حاول فحص الفريسة.

وقد أثبت موري Murie (سنة 1944م)، وكوان Cowan (سنة 1947م)، أن الذئاب تدفن أجزاء من اللحم المتبقي من فريستها، ثم تعود إليها في زيارتها الأخرى للمنطقة، وإن كانت بعض الحيوانات التي تقتات على القمامة مثل الثعالب والكويوت، تنبشها أحياناً، فتأكلها. ومع ذلك فما زالت هذه الظاهرة محتاجة إلى ملاحظات أدق وأوفى؛ لأن الذئاب التي تتكون من مجموعة كبيرة عادة ما تأكل كل الفريسة، وبالذات وقت تأخر الغذاء شتاء، فهي تمضغ اللحم وتنهشه من العظام في وقت قصير، ثم إنه من المعروف أن الذئب يأكل –نظراً لكبر حجم معدته التي تتسع لحوالي 20 كغ لحماً– مرات عديدة، الأمر الذي يعني أنه غير محتاج إلى طمر فريسته. ثم إنه نهم، أي يأكل بسرعة ليملأ جوفه.

وإذ ما كان دفْن الذئبِ الطعامَ صحيحاً، فإن من عادة الذئب في الحفر، أن يستعمل قدميه، ويدفع التراب أو الجليد بخطمه، ليطمر الفريسة. وإذا ما أخرج قطعة اللحم من الأرض، فإنه يمسكها بين كفيه، وينفضها بسرعة حتى يتساقط منها ما علق بها من تراب أو جليد أو غيرهما.

ولهذا، فإن المرء يفترض أن الذئب يعرف الاحتفاظ باحتياطي له فقط، فهو يحتفظ بما يصطاده من حيوانات في الشتاء القارس أو من صيد وفير، إذا تمكن من ذلك، ثم يأكله فيما بعد في شكل جيف. وقد أكدت الملاحظات في الطبيعة هذا الوضع. وإضافة إلى ذلك، فإن الذئاب تأكل الجيف التي

سقطت ميتة أو نافقة في حماها، أو أصابها الخنزير البري.

ومن الملاحظ أيضاً أن الذئاب قد تَقتل في الربيع بعضَ الحيوانات بالقرب من جُحورها كالرنة في أوروبا مثلاً، وذلك لتوفير الغذاء حين لا يتوافر لها مثل تلك الحيوانات زمن الولادة.

ونادراً ما تأكل الذئاب جثث الحيوانات، على الرغم من أنه نسب إليها في التراث العربي القديم نبش القبور، كما ادعى ذلك أيضاً التراث الإسكتلندي. والمعروف أن نبش القبور خاصٌّ بالضباع في التراث العربي.

الفصل العاشر

الصيـد

بدؤه

تتعلم الجراء صيد الفئران والجعلان في جحرها ومواقعها، ثم تبدأ بملاحظة صيد الكبار.

يستطيع الذئب أن يمارس الصيد منذ الشهر السادس من عمره، ثم يتجول مع المجموعة في الشتاء التالي لميلاده.

وقته

يبدأ نشاط الذئاب بشكل رئيس في الصباح الباكر، وقُبيل المساء، كما يمكن ملاحظتها ساعة من النهار. أما في فترات التناسل، فهي دائمة النشاط.

اختياره الحيوانات الضخمة

قد يصعب مهاجمة العجول مع أمهاتها، فهي لا تهاجم الأبقار مجتمعة، فإذا ما انفرد أحد العجول، أصبح هدفاً لها. وهي على العموم، تختار ضحيتها من بين أفضل ما فيها.

ولا يستطيع الذئب بمفرده في العادة أن يصطاد أيّلاً بمفرده، إلا إذا كان وسط مجموعته، وتحاول الحيوانات عادة الهرب.

والأيّل القوي لا يهرب، بل يدافع عن نفسه بضربات حادة من حوافره. وإذا ما كان الأيّل أكثر قوة وأشد بنية، فإن الذئاب المهاجمة لا تستطيع الوصول إليه، ولكن غالباً ما تنجح كل هجمة من عشر هجمات للمجموعة.

ويستطيع الذئب المفرد أن يصيد كلاب الماء والطيور. والذئاب تصطاد جماعياً. وهي تتعاون فيما بينها للقبض على فريستها، ولو كانت أكبر حجماً منها، وذلك مثل الأيّل الطويل الذيل، والأيّل الأذاني (الطويل الأذنين)، كما تصطاد الموظ (وهو حيوان ضخم الجثة من حيوانات أمريكا الشمالية)،

وثور المسك (وهو ثور بري يعيش في غرينلند وأمريكا الشمالية).

ويتطلب اصطياد مثل هذه الحيوانات القوية ذات الحافر، حذراً شديداً من الذئاب. ومن هنا، فهي تلجأ إلى ممارسة طريقة الاختبار، فهي تختبر الموظ قبل المطاردة، فإذا ثبت في موقفه، فإنها لا تهاجمه وتذهب إلى صيد آخر، ولكنه إذا عدا، فإنها تعدو خلفه، وتمزق جوانبه، ويحاول أحدها أن يمسك بأنفه بدلاً من عرقلة عدوه.

طريقته

تعمد الذئاب إلى استثمار طاقتها بذلك الامتحان، فتطارد الفريسة من قرابة 100 متر. وعندما تكون الفريسة المطاردة كالأيل-Elch أو الرنة، سريعة جداً، تبتعد عنها الذئاب، ثم تعاود مطاردتها من جديد حتى تجرحها، أو تعيا تلك الفريسة، ولا تتراجع عنها حينئذ، فتحدق بها المجموعة، وتقترب منها، ثم تنقض عليها بأنيابها الاثني عشر، فتمزق جسدها حتى الموت.

وعندما تعثر الذئاب على مكان صيد ما، فإن حالة من حالات الفرح والابتهاج الشديد تنتابها، فتقفز، وتثب بطريقة مثيرة، رافعة أذيالها، وتتحاكّ ببعضها، وتتلاحس، ثم تنطلق مسرعة نحو ذلك الصيد، يتوسطها الذئب القائد الأعلى، ومن السهل التعرف عليه في هذه الحالة؛ لأنه هو الذئب الوحيد الذي يظل ذيله منتصباً.

تهاجم الذئاب من الخلف، بالعض من الجوانب أو العجز، وهي تحاول جرّها من هذه المواضع، وقد يحدث في أثناء المطاردة أن تنفجر معدة الحيوان المطارَد ومصارينه، بينما القائد يحاول القبض على أنفه.

وقد قيل: إن الذئب مكّار في صيده، ولكن ذلك غير صحيح؛ لأن الذئاب سريعة الجري، فهي تصيد الحيوانات الكبيرة، إذا تصطادها على مسافات

كبيرة، فتقطع ما يزيد على 50 كم في الساعة. وهي تُنهك ما تطارده بمواصلة الطرد، وقد تقسِّم الذئاب منطقة المطاردة فيما بينها حسب خطة محكمة. ففي مطاردة Elch الكبيرة مثلاً -وهو من الحيوانات التي تبدي مقاومة عنيفة- تطوق الذئاب أحدها في هجوم تمويهي، فإذا ما استقر فزعه، عاودت الهجوم على Elch آخر، فتبتعد عن الأول. وإذا ما نجحت الخطة، هاجمته من جوانبه، فيتعثر، ويقع، فتهاجمه من كتفيه ورقبته، حتى تتغلب عليه، وقد يستطيع Elch أن يرمي بأحد الذئاب على شجرة، فيقتله.

ولعل الشيء المفيد هنا هو أن العبء الأكبر في الحصول على الطعام والصيد يقع على الذئاب من الطبقة العليا، فهي التي تخطط، وتُقْدِم ساعة الخطر، وهذا قد يفقد الذئاب الدنيا جزءاً من شخصيتها وقدرتها على المواجهة بمعزل عن غيرها.

ومن المشاهد في حياة الذئاب أنها لا تقحم نفسها في الصيد جزافاً، بل تدفع بالطريدة إلى الهرب من أمامها لتنقض عليها، فإذا ما ثبت الحيوان المهاجم مكانه، فإن الذئاب تتردد في مهاجمته، وقد ينتهي الموقف بنجاته، إذا ما صمد أمامها؛ ولهذا فالذئاب مجموعة تحب صيد الحيوانات الكبيرة؛ لأنها تتيح لها فرصة الجري والوثب، ولاشك أن الجري يتيح للذئب فرصة خلفَه.

الحيوانات الصغيرة

يستطيع الذئب بمفرده مطاردة الأرانب والدجاج البري. وقد يعمد إلى خطة طريفة عجيبة، حين يتكوَّر وكأنه لا حراك به فوق الأرض كالميت عندما تبتدئ الفريسة في التحرك.

وعندما تريد الذئاب إخراج فأر من جحره، يقوم أحدها بالحفر، على حين

يراقب الآخر المحيط ليلتقط الفأر لحظة خروجه، والذي يأتي نحوه يلتهمه، ثم تستمر العملية في مكان آخر. وهي تدخل أنوفها في الجُحور أثناء الحفر.

وعندما يصطاد الذئب فريسة صغيرة كالأرانب مثلاً، فهو يستحوذ عليها لنفسه، ويمنع عنها غيره، ويلتهمها بسرعة. وعلى الرغم من أن الأرنب قد يراوغ بعض الذئاب حتى تطول المراوغة، فإن ذئاباً أخرى تستطيع قطع الطريق عليه بسهولة.

وتهاجم الذئاب عادة الكلاب، فتقتلها، وهي تشكل 35% من غذائها، حين تلتقي بها، وهي تبحث عن طعام لها في أماكن رمي فضلات الطعام، وتهاجم الذئابُ في القرى والأرياف الكلابَ والطيور المنزلية، والخنازير الأهلية، والقطط.

والذئب يسلخ بمخالبه جلد الشاة مثلاً، ليصل إلى اللحم.

ولكن على الرغم مما اشتهر عن الذئب من نهم وتعطش للدماء، فإنه إذا وجد ما يشبعه، ويسد جوعه، لا يواصل المطاردة والصيد. إنه لا يقتل من أجل القتل، بل يصطاد ليأكل على قدر حاجته فقط.

ومن عادة الذئاب أنها تُحجم عن الشروع في الصيد، إذا ما كانت الرياح الشديدة مغبرّة، ذلك أنها تعتمد على حاستي السمع والشم كثيراً، والرياح والأعاصير تفسد عليها ذلك.

وعلى العموم، فإن الشتاء، يُعد من الفصول السيئة جداً للذئب.

صورة من صور الصيد

صيد سهل

مجموعة من ذئاب من عائلة واحدة، أحدها من مرتبة دنيا، نظر إلى

القائـد ولم يتحـرك، إنه يرغب في العدو نحو الصيـد، ولكن طبيعة الذئاب المحافظـة علـى أوامر القيـادة العليا تفرض عليه أن يقـف في مكانه. جرت الذئاب ببطء. أحدها وكان صغيراً جداً، أراد أن يقترب من الصيد، فحدق فيـه آخر، ليفهمه أنه مازال مبكِّراً على هـذه الخبرات. ثم نشطت الذئاب، فكوَّنت نصف الدائرة، حتى لا تترك مجالاً للصيد كي يهرب.

تقـدم ذلـك الذئب الذي وجـد الصيد لأول مـرة ليلاً، مـدركاً أنها فرصته ليترقـى وسـط المجموعـة في مرتبته، لم يعـد بينهما إلا 15 مـتراً. ثم تهيأ، وانطلق مندفعاً نحو صيده الذي لم تعد له حيلة، فراح يغرس أنيابه في حلقة حتى سقط ميتاً، ثم أخذ ينهشه، ويقلبه ذات اليمين وذات الشمال بين يديه، وهو يزمجر، وفي هذه الأثناء وصلت بقية المجموعة. فابتعد الذئب الصغير، وجاء القائد ليأكل، وبعد لحظات شاركت المجموعة في الأكل.

صيد صعب

بعـد مطـاردة، استطاع الذئب أن يقفز على ظهـر صيده (الكبير الحجم)، وأخذ يعضه في رقبته، أما بقية الذئاب، فقد هاجمته من سيقان رجليه ومن مؤخرته، حتى طرحته أرضاً.

الفصل الحادي عشر

التناســـل

زمن التناسل

يختلف زمن التناسل بين الذئاب من منطقة إلى أخرى، ففي شمال كندا مثلاً، يكون هذا الزمن في الأسبوع الأخير من مارس والأسبوع الأول من إبريل (وربما امتد ذلك في الحالات القصوى إلى بداية مايو).

أما في المناطق الجنوبية، فيتم ذلك في الأسبوع الثالث من فبراير. وأهم ما في الأمر أن زمن التواصل الجنسي قصير جداً، ثم ينقطع الاتصال طوال العام.

سن الاتصال الجنسي

تنضج الذئبة جنسياً عندما تبلغ السنة الأولى من عمرها تقريباً.

أما الذئب، فينضج جنسياً عندما يبلغ الثانية من عمره، وعندما يبلغان الثانية والنصف من عمرهما تقريباً يتصلان جنسياً. وربما أدى الخلل في العلاقات الطبقية بين الاثنين إلى التبكير في هذا الاتصال. كما تؤثّر في العلاقات الحالاتُ النفسية والجنسية الخاصة بالذكور أحياناً.

طريقة الاتصال

يبدأ شعور الذئاب بالتناسل، عندما تأخذ الذئبة في نثر بولها على الأحجار والأشجار والمرتفعات...إلخ، لإثارة الذئاب. وتسبق عملية الاتصال مقدمات، تتمثل في احتكاك الرأسين والتشمم بالأنفين، والملاحقة، وقد يجلب الذئب قطعة لحم طرية استرضاء للذئبة.

وتكون الذئبة في فترة نزوتها في حالة عدم استقرار، فتُبرز فرجها الذي يظهر منتفخاً، فيقترب منها الذئب، يتشمم منطقة التناسل anogential، ويلحسها، وتقوم الذئبة بعملية إثارة بإرخاء مؤخرتها وتحريك ذيلها، في

حـين تحـرك ذيلها من حولهـا، وقد تقوم الذئبـة دون سابـق تهيئة، فتضع قدميهـا أو رقبتهـا أو رأسهـا علـى كتفي الذئـب، أو تنحني لـه، وقد تتوجه إليـه بمؤخرتها، رافعة ذيلها. ثم تنتصـب واقفة، مميلة ذيلها جانباً، فيأتي الذئـب، ويعتليها من خلفهـا. ويحدث للذئبين في حالـة الاتصال ما يحدث للكلبـين عنـد اتصالهما تمامـاً، مثل إمسـاك قضيب الذئب فـترة الإنزال Capulatory tie، ويستمـر ذلك حوالي 20–30 دقيقـة. وقد يحاول الذئب الاضطجـاع، وهـو في وضع الاتصـال، مما يسبب له بعض الألم، وبعد ذلك يهبـط الذئب، ويتقابلان، كل رأسه عكس الآخـر، مثل ما تفعل الكلاب بعد انتهائها من اتصالها. وتستمر النزوة من 4–6 أسابيع.

وعموماً، فأشكال المقدمات الجنسية السابقة قد لا تعني الاتصال الجنسي، وإن كان ذلـك زمـن التناسـل، بل قد لا يحتـاج إلى تلك المقدمـات. أما إذا رفضـت الذئبة الاستجابـة للذئب، فإنهـا تلصق ذيلها بـين فخديها لصقاً شديداً، وقد تُقعي على فخديها.

وكمـا يحدث للـكلاب في أثناء الاتصال مـن امتطاء، فإنه بعـد عدة مرات مـن الإيلاج، تنقفل العضلة العاصـرة في رحم الأنثى Sphencter، فيحدث القبض على قضيب الذكر، فيندفـع الذكر في حركة إيلاج أماماً وخلفاً، ثم يبـدأ بالقـذف. وتستمر حالة القبض التي تشمل نهايـة القضيب bulbus glanis تحيـط به العضلة العاصرة. وبعد ذلـك يهبط الذئب من على ظهر الذئبـة، جاعلاً يديه بجذائها، وهما لا يـزالان مرتبطين، ثم يضع أحدهما على ظهرها، ويدير ظهـره عنها، ويضطجعان وهما مرتبطان. وإذا ما رأت الذئاب الأخرى هذا الوضع، فإنها تأتي إليهما، وتدور حولهما. وعلى الرغم مـن انحصـار التزاوج بين الذئـب الأعلى والذئبـة العليا، فقـد يقع اختيار الذئبة على آخـر– وهذه حالات قليلة – الأمر الذي يؤثر على مستوى الذئب

الأعلى مستقبلاً.

ومع ذلك، فليس كل اتصال يعني الإنجاب، إذ قد لوحظ في حديقة بروكفيد Brookfield Park أن 31 حالة هي التي تحدث فيها إنجاب في خلال 4 أربعة فصول تناسلية، وذلك من بين 1296 حالة اتصال.

بل لوحظ في الخلاء أن إحدى المجموعات القوية الكثيرة العدد أعاقت الاتصال الجنسي بين مجموعتين أخريين تتكونان من عدد محدود جداً من الذئاب. ومن الغريب أن شعور الذئبة بالخوف حتى من نظرات ما هو أعلى رتبة منها، يلازمها، فتنكمش، مما يعيقها عن الإنجاب أيضاً. وكثيراً ما تتدخل الذئبة العليا لمنع أي اتصال جنسي بين الذئاب الدنيا.

وقد لوحظ بعض بقع الدم من الذئبات الأبكار بعد الاتصال لأول مرة. وقد قدم مونيهيرو ميتزوروكا إحصائية شاملة عن عدد مرات الاتصال الجنسي التي يمكن لذئب ما أن يقوم بها (انظر كتاب H.Frank: Man & Wold ص 131 –140).

العلاقة الجنسية

لا تميل الذئاب إلى الاتصال جنسياً بين الإخوة. وعندما يحاول أحد الإخوة الاتصال بأخته تبدي الذئبة رفضاً شديداً لذلك، فالعلاقة الجنسية الأحادية، هي العلاقة السائدة بين الذئاب، وقلما يلاحظ الخروج على ذلك، إذ يظلان محافظين على علاقتهما ما بقيا أحياء. وتحافظ الذئبة العليا على علاقتها الزوجية بالذئب الأعلى، فهو الأقوى والأكثر تجربة في المجموعة، مما يساعد على تأمين الغذاء وحقوق الارتباط، وقد لا يبدي الذئب القائد أحياناً أي اهتمام بأنثاه، مما يدعوها في زمن معين –وهو أمر غير اعتيادي ما يزال يحتاج إلى توضيح– إلى أن تواصل ذكوراً أخرى.

فقد استطاع ذئب من المرتبة الثانية Beta أن يتصل بالذئبة فنسترن-Fin estern التي كانت خاضعة للتجارب، وذلك إلى جانب الرفيق الأصلي لها نفسها. كما حدث أن اتصل هذا الذئب بالذئبة من الدرجة الثالثة أيضاً. ويبدو أن هذا الخرق للقاعدة يعود إلى المركز الاجتماعي أو الجنسي لأي من الذكر أو الأنثى ضعفاً أو قوة. ومما هو جدير بالملاحظة أن الذئاب القائدة تَعُدّ نسل الذئاب التي حققت اتصالاً بالذئبة العليا وكأنها من نسل الذئب القائد الذي يصبح هو الأب. وبعد فترة الاتصال ينخفض مستوى الشبق عند المجموعة، وبالذات الذئبة العليا. مع ملاحظة أن الذئبة العليا كثيراً ما تحاول التدخل لمنع أي اتصال بين غيرها من الذئبات. ولذلك، فكثيراً ما يقتصر الإنجاب على الذئبة القائدة. كما أنه من الملاحظ أيضاً تأخر الإنجاب بالنسبة لبعض الذئبات في المجموعة.

وإذ تُركز كل الذئاب الذكور تقريباً جلَّ اهتمامها على الذئبة العليا – حتى ولو لم تحظ أبداً بالاقتراب منها– فإنه قلما اتصلت بها، أو تمكنت الذئاب الدنيا أو الذئاب المبعدة عن المجموعة من متابعتها.

وقد تقتل الذئاب الذئب الأعلى الذي اتصل جنسياً بالذئبة العليا، وغالباً ما يحدث الاتصال الجنسي والمجموعة نائمة.

الولادة

مدة الحمل

تصل مدة الحمل لدى الذئاب –كما هي عند الكلاب– إلى 63 يوماً، أي 9 أسابيع، فتلد في بداية الربيع، إذا ما كان الجو معتدلاً، وقد يكون ذلك في الأسبوع الأخير من إبريل، أو الأسبوع الأول من مايو، وذلك وفقاً لبداية

الاتصال الجنسي، فتضع ما بين 5-6 أو 7 جراء، مع شيء من التفاوت زيادة ونقصاً. ولكن الذئبة لا تحمل إلا مرة في السنة، على عكس الكلبة التي تحمل مرتين.

وتفقد الذئبة قبل الولادة بعشرة أيام شعرها الكثيف خاصة حول الأثداء، مما يساعد الجراء على الرضاعة بعد ذلك. أما في فترة الحضانة، فتفقد شيئاً من وزنها، ويبقى شيء من الشعر عليها.

تلد الذئبة الجراء فرادى جرواً جرواً، فتقطع الحبل السري الواحد تلو الآخر، ثم تلحسها وتجففها، وتدفعها ناحية أثدائها، وتبتدئ الجراء في رضع حلماتها الثمانية. ولكن المعاناة تكون قاسية طبعاً، إذا لا يتبقى من أولئك الصغار في المتوسط إلا اثنان يصطحبان المجموعة.

وعلينا أن نلاحظ أن الإنجاب غالباً ما يكون قاصراً على الذئبة العليا فقط، وربما اغتنم بعض الذئاب الأدنى فرصة انشغال القائدين ببعضهما، أو ابتعادهما، فيتصل بذئبة من طبقته، أو بما يتيسر له الاتصال بها. وتتيح فترة الاتصال الجنسي المحدودة القصيرة الفرصةَ للذئبة العليا في بسط سيطرتها.

وغالباً ما تقوم الأم برعاية الجراء في جحرها، وقد تقوم ذئبة أخرى بذلك مساعدة لها منها.

الجحر

في فترة الحمل تحفر الذئبة جحراً أو عدة أجحار، يساعدها الذئب غالباً بعض المساعدة، كما تقوم الذئاب الأخرى في المجموعة بأعمال الحفر مساعدة منها لها أيضاً.

وتكون الأجحار عادة في الكهوف، أو شقوق الصخور، أو تحت صخرة ناتئة،

أو تحت قاعدة جذع شجرة كبيرة، وكثيراً ما تكون في منحدر، أو قرب مجرى مائي، ولكن عادة ما تكون في المرتفعات المنبسطة المفتوحة، وذلك حتى تدرك ما يحيط بها بلمح البصر.

ولا يكون في الجحر أبداً براز أو بول، فليس في المهد سوى التراب الذي لا يغطيه شيء، وتأكل الذئبة غائط الصغار، فإذا ما كانت الأرض صالحة للولادة، تحفر الأم نفقاً طوله من 6-9 أمتار، وينتهي طرفه بمكان على شكل بيضاوي ارتفاعه حوالي 50 سم. ويكون المدخل الرئيس منخفضاً جداً، يودي إما إلى أجمة، أو إلى شجيرات تمويهية، أو إلى أدغال حول أحد الجبال. وعادة ما يكون الجحر صغيراً بحيث تضطر الذئبة إلى الزحف على بطنها. أما في الداخل، فهو أوسع، ولكنه غالباً ما يكون ضيقاً، بحيث لا تتمكن فيه الذئبة من أن تظل واقفة. وللجحر عدة مداخل أخرى، توضع فيها تبرزات متناثرة.

والمسافة من الداخل إلى المهد حوالي 50 قدماً.

تستعمل الذئاب أجحارها عدة سنوات للولادة فيها، إلا أن يحدث ما يثير القلق، فإذا ما اكتُشف الجحر، أو أصبح غير مأمون أو وسخاً، فإن الذئاب تنقل جراءها إلى جحر آخر.

وليس هناك ما يدعو الذئاب إلى العودة إلى أجحارها طوال العام، فهي لا تحتاج إليها إلا وقت الولادة، فالذئاب قليلاً ما تهتم بأماكن التغطية.

وفي الصيف تغيّر الذئبة موقع الجحر، إذا ما أحست الجراء بالحاجة إلى الماء مثلاً، وعندما ينمو حجم الجراء تغيّر الذئبة المكان لكي تتحرك الجراء في مكان أوسع بحرية، وعادة ما يكون موقع الجحر الجديد قريباً من الجحر القديم، وتتوافر فيه بعض متطلبات الحياة، كالقرب من جحور

الفئـران، ومن منبع ماء، وفي هذه المرحلة تصبح الجراء في مأمن من خطر الثعالب أو الصقور.

الجراء

النمو

يشبـه الجرو في أيامه الأولى الدب الصغير، أكـثر من أي شيء آخر، أذناه مسطحتان نحو الأمام، وأنفه مطموس، كأن أحداً ضغط عليه بإبهامه ضغطاً عنيفاً، وذيله قصير كذيل الدب الصغير، ورجلاه قصيرتان ضئيلتان.

عندما يولـد الذئب يكون مكسواً كلياً بشعر قصير، لونه إما أزرق مائلاً إلى السـواد، أو بنيـاً غامقاً. ويكـون وزنه تقريباً رطلاً، علـى حين تكون عظامه غـير تامة النمو، وهـو مغمض العينين في أيامه الأولـى، ولا يسمع جيداً. ثم ينمـو بسرعة، فيرتفع وزنه إلـى كيلو واحد، وهكذا، دواليـك. وتتفتح عيناه بـين اليوم العاشر والثاني عشر من ولادتـه، ولا تسمح الذئبة للذئب بدخول الجحر في المرحلة الأولى.

وفي هـذه السـن يأخذ الجـرو، إذا ما أحسـ بالجوع أو الضيـق، بالزمجرة والعواء.

وما زال لغز عدم السماع للذئب بدخول الجحر محيراً، وعلى حين ذكر فالي مُـوات أن الذئب يتولـى، حضانة الجراء، فإن الـرأي الشائع هو على عكس ذلك، حتى قيل إن سبب المنع هو خشية أن يأكل الذئب جراءه.

الرضاعة

تكـون الصغار عند ولادتها عميـاء، عاجزة عن القيـام، وتتفتح عيونها بين 5-9 أيام، أو حوالي 10 أيام. ثم تأخذ في التحرك واللعب مع بعضها بعضاً،

وعندما تبلغ الأسبوع الثالث من عمرها تستطيع أن تتقدم إلى خارج الجحر، ولكنها تتراجع بسرعة عندما تشعر بالإعياء أو الخوف. كما تستطيع في هذه السن أن ترضع وهي واقفة. وتحاول الأم إعادتها إلى جحرها بمسكها من رقبتها دون إحداث ألم بها. وفي الشهرين الأولين تكون حدقتا الجرو زرقاوين، كما ينبعث منهما تدريجياً اصفرار كلون الكهرمان، مما يميز عيون الذئاب.

الفطام

تفطم الجراء بعد ثمانية أسابيع من ولادتها تقريباً.

الغذاء

يلتزم الذئب في الأسابيع الستة، أو الثمانية الأولى من الولادة بمساعدة الذئبة، فيجلب لها شيئاً من اللحم بين أسنانه، أو يطرحها أمام الذئبة، أو يجلب الطعام في أمعائه، فيقف أمام الذئبة موسعاً بين قدميه، مدلياً بأنفه ورأسه مائلاً نحو الأسفل، ثم يتغصص عدة غصات، يتقيأ بعدها عدة أرطال من اللحم الطري.

وربما صادت الذئبة أرنباً، فأكلت نصفه، وحملت نصفه الباقي إلى جرائها. وتستطيع الجراء منذ أسبوعها الثالث أن تهضم ما تقيأته لها الذئاب، فيأخذ كل جرو بحسب قدرته على الأخذ، فليس هناك تنظيم أو تقسيم للطعام بينها. وقلما يستعمل الذكر الجحر، فهو يرمي بالطعام حول المدخل، ويظل يحرس من مكان قريب، والوقت الذي يلازم فيه الذكر الموقع هو زمن ولادة الجراء. وقد يُضطر إلى مغادرة ذلك الموقع في فترة هيجان الحشرات، أو هبوب الرياح الشديدة الباردة، فيلجأ إلى أماكن تغطية تحميه منها، فقد

يلجأ إلى التلال المرتفعة، أو يحفر حفرة، أو يهرب من مواجهة كل ذلك.

وتعتني الذئاب الأخرى بالجراء من غير أبنائها وتطعمها، وكأنها من جرائها. وقد يحتاج الجرو الواحد في الأشهر الأولى إلى 300 كلغ لحماً.

والذئبة لا تأكل جراءها إذا ماتت، فإذا مات أحدها في الجحر، أشفقت عليه، وأخذت تلحسه، وتقلبه بين يديها، وتتشممه بأنفها، وتئن على فقده.

ومع هذا فهناك من يقول: إن شِجار الجراء في الجحر أو مزاحها، قد يؤديان إلى جرح أحدها، وربما أجهز أحد الأبوين بعنف على الجرو الجريح يأكله. ومن المحتمل أن ذلكما الإجهاز والأكل يقعان من الأب؛ لأنه لوحظ أن الذئبة تتولى رعاية الجراء، داخل الجحر، بينما يقف الأب في الغالب خارجه (ولعل هذا تفسير ما ذكرناه آنفاً).

وإذا ما سارت الجراء إلى جانب والديها، فهي تسير متضامّة، وعندما يتيه أحدها، فعليه أن يعود إلى مأواه بمفرده، فالأبوان لا يهتمان بفقده.

ومن الملحوظ أن الجراء تحب اللعب كثيراً، فهي تلعب مع والدتها، ومع المقربين لها، وتمارس اللعب كما تمارسه جراء الكلاب.

وتجلب الذئاب إلى جرائها للعب عظام السيقان، وألواح الأكتاف، والقوارض (كالجرذان) المقتولة توّاً، بل حتى جماجم العجول.

ولا يقتصر اللعب على الصغار، بل إن الذئاب بشكل عام تحب اللعب، وإن كانت هناك مناطق محظورة، أي: الرقبة والكتفين.

وتبقى نقطة أخرى لا بد من إثارتها في هذا الصدد، وهي الزعم الرائج بأن الذئب يأكل الذئب الجريح، فلم يثبت هذا الادعاء، علمياً حتى الآن، وهو ادعاء رائج في الوسط العربي قديمه وحديثه، ولم تذكره المراجع العلمية قط، إلا في كتابين: الأول: ذلك الكتاب الذي مرت الإشارة إليه وهو كتاب قديم مطبوع (سنة 1846م) ألفه أوليفر جولد سميث، والذي ذكر: (تهيج

الذئاب هيجانـاً شديداً لرائحة دماء بعضها بعضـاً، وعندما يجانب الحظ أحدهـا، فيُجرح، تتعقب البقية دمـه السائل منه، ومن بعد ذلك، فلا رحمة ولا شفقة).

والثـاني، كتـاب مطبوع حديثـاً، عن أصل قـديم طبع (سنـة 1890م) وهو مطبـوع أيضاً عن أصل أقدم منه، إنه كتاب (نباهة الحيوان) الذي أورد ما يأتي:

(قيـل إن بعضـ الذئاب تتبع ذئباً مجروحاً، ولما أدركتـه، أكلته، وكذّب ذلك كثيرون).

ومن أغرب المرويات عن أكل الذئاب بعضها بعضاً، ما حدَّث به من زعم لي بأنه أحد هواة الصيد، من أنه ورفاقه (وهم كلهم غربيون) كانوا يصطادون في أمريـكا الجنوبية، فكانوا إذا واجهـوا مجموعة من الذئاب، أخذوا قطعة اللحـم وغرسوا فيها أمواسـاً، فتقبل الذئاب على أكل قطـع اللحم، فتمزق حلوقها، وتسيل الدماء منها، فينقض كل واحد منها على الآخر يأكله!

وهـذا زعـم أيضاً، لم تتبـين حقيقته بعد، ذلـك أن الملاحـظ أن اشتباكات دموية تقع بين الذئاب، فلا تفعل فعلتها تلك، وقد وُجد ذئب ميت، ولم تأكله الذئاب الأخرى.

وقد طرح كونراد لوزنز، ص 201، سؤالاً غاية في الدقة، فقال:

(إذا كان جـرح الذئاب يؤدي إلى هلاكهـا على أيدي مثيلاتها، فكم سيبقى من الذئاب حينئذ، والعراك بينها أمر طبيعي؟).

وللأمانة العلمية ننقل ما ذكره فينيس Fiennes في كتابه نظام الذئاب The Order of Wolves، فهو يقول، ص19:

(إن الذئب الجريح المغلوب كثيراً ما يُقتل ويُؤكل).

الفصل الثاني عشر

علاقة الذئاب بالحيوانات والطيور الجارحة والإنسان

ابن آوى

تقتل الذئاب ابن آوى، وليس من المؤكد أنها تأكله، ولكن من الثابت أن صغاره سائغة للذئاب.

الكلاب

إن ردة فعل الكلاب نحو الذئاب مضحكة جداً، إذ إنها تحتفظ باحترام شديد لها، أو بعبارة أخرى بخوف شديد منها، فهي إما أن تنبح بهيجان عندما تسمع عواء الذئب، أو تحاول الاختفاء داخل المنازل.

ويدرك الذئب أنه لا يقوى على ملاقاة عصابة الكلاب، ولكن عندما ينفرد بالكلب، فإنه يهاجمه من خلفه، فيقضمه.

وتتحجر صغار الكلاب في أماكنها عند رؤية الذئب، أما الأقوياء، فتهاجم.

وتهاجم الذئاب الكلاب، فتقتلها وتأكلها، ولكن الكلاب لا تأكل الذئاب إذ ما قتلتها. وإذا ما حدث أن اقترب كلب من الجحر، فإن النتيجة هي موته.

وعلى الرغم من ذلك، فكثيراً ما يحدث اتصال جنسي بين الذئاب والكلاب.

الثعالب

تقتـل الذئاب الثعالب، فهـي أعداؤها الطبيعية، ومـن الغرائب أنه لا يوجد حتـى الآن ما يؤكـد أن الذئاب تـأكل الثعالب، مع أنهـا تمزقها شر ممزق. ولعلنـا نشـير هنا إلى أن الثعلـب يلجأ إلى نشر نبـات العنصل، في مسارات الذئـاب؛ لأنه يدرك بذكائه الفطـري، أن الذئاب تصـاب بالتخدير إذا ما وطئته.

الضباع

إنه لمن المؤكد أن الضباع تبحث عما تتركه الذئاب من فريستها.

الحيوانات المفترسة

من النادر أن تهاجم الذئاب غيرها من الحيوانات المفترسة، التي تنقض على ما تبقى من طعام بعد أن تشبع منه الذئاب، وتتعامل الذئاب بتسامح مع الحيوانات المفترسة الأخرى كالدببة والأسود والفهود، مع بعض الاستثناء، حينما تتوغل في منطقة حماها. ويأتي أكبر خطر يواجهه الذئب من الكوغر The coger وهو حيوان من فصيلة القطط يعيش في أمريكا، يمتاز بقوة فكه وحدة أنيابه، وهو يترصّد الذئب القائد The Alpha، فينقض عليه، ولا يتردد الذئب عن مواجهته، إلا أن اندفاع الكوغر، وسرعة ضربته بكفيه ذات المخالب القوية تطرح الذئب أرضاً، فيتغذى عليه الكوغر بعد أن ينهش رقبته.

الغُرير

يتمكن هذا الحيوان من القبض على خطم الذئب لفترة يرهقه فيها.

الدببة

تقتحم الدببة صيد الذئاب، فتهرب منها، وتهاجمها، فتتغلب عليها، والخاسر دائماً هو الذئب.

الأسود

العلاقة بين الذئاب والأسود علاقة ودية، وكثيراً ما اعتمد الأسد على مطاردة الذئب للفريسة، كي يأتي الأسد أخيراً، فينتزعها منه بيسر وسهولة، ويتغذى الذئب على بقايا الأسد بعد تركها.

الغربان والطيور الجارحة (النسور)

أثبت زفوريكين Zvorykin (سنة1934م) أن الغربان وطيور العقعق تلاحظ الذئاب ملاحظة ثابتة، وذلك من خلال تحليقها في اتجاهات معينة.

ومن ثم تستطيع أن تعثر عن بعد على الحيوانات الميتة. ومن ناحية أخرى، فقد أكد ميش ملاحقة الطيور آكلة الجيف لتحركات الذئاب.

وعندما تهاجم الذئاب حيواناً ما، فإن هذه الطيور تحلق فوقها بترقب، أو تجلس على شجرة وتنعق عندما تصيب الذئاب أيلاً مثلاً. ولكنها كثيراً ما تطير حائمة فوق الذئاب وهي تسير. والواقع أن الغربان تصيب شيئاً مما تغنمه الذئاب، حيث تظل منتظرة نهاراً بالقرب من الفريسة إلى أن تشبع الذئاب، إذ إن الغربان تستطيع الطيران ليلاً خلف الذئاب، ولهذا، فإن اصطحاب الغربان للذئاب أمر اعتيادي بالنسبة للذئاب، وكذلك النسور، بل قد تدل الغربان الذئاب على موقع الفريسة.

الذئب والإنسان

كان الذئب في العصور الجليدية يتغذى كثيراً على ما يخلِّفه الإنسان من فائض الطعام، وكانت علاقة الذئب به جيدة، إلا أنه نشأ نفور بين الذئب والإنسان، بعد أن تحول الإنسان من مرحلة الصيد إلى مرحلة الجمع والزراعة والرعي، ثم إدخال وسائل الصيد. وازداد التنافس بين الذئب والإنسان على المصادر الطبيعية منذ آلاف السنين.

ولقد وعى الذئب أن عليه أن يبتعد عن مناطق الإنسان وتجمعاته، فابتدأ الإنسان يتحدث عن نفور الذئب، وهكذا تولَّد لديه الحذر والخبث وحب البقاء.

فبعد أن تزحزح الجليد منذ 10000 سنة مضت، نحو الشمال ممتداً إلى

الثيمـر والألب في أوروبا حتى الهملايا في آسيا، وأريزونا في العالم الجديد. وبعـد أن غطـت الغابـات مساحات واسعة مـن الأرض، اضطـر الذئب إلى الاعتمـاد على حيوانات الغابة التي لم تكن كافيـة، فوسع هجماته خارجها. وكان الإنسـان في هـذه الفترة، أي: حوالي 10000 سنـة مضت، يعيش على الأصـداف البحرية وما يجود به الساحل، وابتـدأ يستأنس بعض الحيوانات الوحشيـة من ماشيـة وأغنام، كما استأنـس الخيول أيضـاً. وحيث إن هذه الحيوانـات هـي أيضـاً ممـا كان يتغذى عليـه الذئـب، فقد بـدأ الصدام بينهمـا، بل لجـأ الإنسان إلى استئناس الكلاب لحمايتـه من الذئاب، وكان استئناسهـا في الجزء الشمالي من الكرة الأرضيـة مبكراً، سبق استئناسها في الشرق الأدنى والشرق الأوسط. وكان الغرض من ذلك هو حماية قطعان الماشيـة والأغنام. ومن تلـك الكلاب: الكلب الأسكتلنـدي الضخم، المسمى الكـولي Collie وكلب الرعاة الألماني الإلزاسي، والكلب الإنجليزي English Sheep-dog الـذي جيء به من روسيا والمجر. ولكن هذه الكلاب الضخمة لم تستطع مهاجمة الذئـاب، وإن قامت بحماية الأغنام والماشية والمحافظة عليها. وإلى جانب تلك كانت هناك الكلاب السلوقية.

واستخدمـت شعوب الغال كلاباً من نـوع الكلب الإيرلندي، في الحرب وضد الذئاب.

ويلاحظ أن الذئاب كانت تلجأ إلى التلال والمرتفعات المحيطة بالقرى والتي كانـت الغابـات تغطيها، وأوضح مثال على ذلك أسكتلنـدا التي كانت تعتمد اعتماداً كلياً على الماشية والأغنام.

ولما جاء الرومان، نشط صيد الذئاب، ثم لما جاء الأنجلوسكسون، كان الملك إلفرد العظيم Alfred the great أحد هواة صيد الذئاب، حتى أصبح شهر يناير في ذلك الزمان شهـراً مخصصاً لصيد الذئاب، وسمي شهر الذئاب

Wolfmonat، وعُينت جائزة لمن يأتي برأس ذئب Wolvesheofod، وفي عهد الملك أثاليستان Athels خصصت مواقع في الطرق الموحشة لحماية المسافرين من الذئاب، وهي تدعى Spiltals، ومثلها في الوقت الحاضر في يوركشير Spiltal Farm in Yorkshure.

وقد فرض الملوك الإنجليز ضرائب على الملوك الإيرلنديين، وهي عبارة عن ذئاب ميتة. كما فرضت على المجرمين غرامات تتمثل في ألسنة ذئاب.

وفي (سنة 1016م) أسنّ الملك الدنمركي كنت Cannte قانوناً يستعبد فيه الذئاب والثعالب من قوانين الحيوانات المصطادة، وأصبحت مصنفة ضمن الحيوانات الضارة.

وكان هناك إعجاب بقوة الذئب وذكائه، وهو ما يظهر من اتخاذ ملوك للشمال القدماء، أسماء الذئب، مثل بيوولف Beowulf، أو بيدوولف Bead-owulf.

Berthewolf، Cynewolf، Wulfred، Wolfwig، Ceowulf

وقد نشأت الصورة عن الذئب (المتوحش) في أوروبا في القرن السابع عشر حيث كان الاعتقاد بإصابة الذئاب بمرض السُّعار. وقد هاجمت الذئاب كثيراً من الناس في مزارعهم النائية. كما تجرأت بعض الذئاب على الدخول إلى القرى، مما جرأها بعد ذلك على مهاجمة الناس. وهكذا، تولدت الكراهية للذئاب.

وقد أدت عضات الذئاب تلك إلى إحداث نوبات جنون، كما أدت إلى كثير من الوفيات. ولم تكن هناك وسيلة إلى العلاج إلا المراهم التي لم تكن دائماً ذات جدوى.

وتثبت الدلائل أن الذئاب في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك لا تعتدي على

الإنسان أبداً، بل إنه وعلى الرغم من القصص الكثيرة حول الذئاب، لا يوجد دليل واحد موثوق به على أن ذئب الشمال اعتدى على أحد. وعلى غير ما هو متصور، فإن هذه الذئاب تَقْبَل الإنسان، كما تبدي اهتماماً كبيراً به، وذلك عندما تتحقق من أنه لن يسبب لها أدنى أذى، ما لم تكن مصابة بداء الكلَب، وهكذا، الذئاب في روسيا.

ومن الملحوظ أن الذئب لا يهاجم الإنسان إلا عندما يستثيره، أو عندما يكون جائعاً.

وما هو مؤكد أن الناس في أوروبا نظروا إلى الذئاب منذ عصور السكسون، على أنها مصدر خطر تعتدي على الإنسان، فكان أن تراكمت مواد قصصية حول تلك الاعتداءات.

وفي (سنة 980م) اغتيل أحد ملوك الغال القدماء المسمى ميمرسيوس Mempricius أو ميمبريز Memprys، وكان أحد صيادي الذئاب، فرُميت جثته إلى الكلاب، ولكن القصة تزعم أن الذئاب هي التي قتلته.

وعلى كل، فإن أهم مصادر القصص عن اعتداءات الذئب على الإنسان، مأخوذة من أسكتلندا وفرنسا وإسبانيا وأوكرانيا. على حين أن هذه القصص نادرة حول الذئاب في أمريكا. ثم إن هذه القصص جميعها تعود إلى قرون خلت، وأخذت تتداولها الألسن على أنها حية الآن، وفي المقابل هناك حكايات كثيرة عن تعرض الإنسان للذئب ونجاته منه دون أن يلحقه أي ضرر. فمن ذلك أنه في سنة (1848م) أطبق الجليد على رجل في أحد المخيمات، فأحدقت به الذئاب، ولم تؤذه. وفي سنة (1928م)، جاء ذئب جائع إلى رجل أعزل نائم، فسرق منه سمكته، ولم يؤذه. وقال رجل آخر إن ذئبين أحدقا به، ولكنهما لم يؤذياه. ومع أن بعض جراء الذئاب التي سرقت

للتدجين، أبدى قابلية لذلك، فإن بعضاً منها ظل متوحشاً. ولكن الذئاب الآسيوية Canis Lupus Pallipes تختلف كثيراً عن ذئاب الشمال، وذلك على الرغم من أن طرق حيدها واحدة، حيث إنها كثيراً ما تدخل القرى في الهند، وتختطف -على ما يبدو- الأطفال وتقتلهم. ويقال: إنها ذئاب خطيرة، وإنها تهاجم الإنسان الأعزل.

ويظهر ذئب الشمال خضوعاً، أو استسلاماً في حالة وقوعه في قبضة الصائد، بل إن الأسكيمو يقولون: إن بإمكان الإنسان أن يدخل إلى جحر الذئاب، فيسرق الجراء، ولا يجد مقاومة من أبويها اللذين يقفان بعيداً ينظران في استسلام.

لقد جاء في كتاب مطبوع سنة (1846م)، ألّفه أوليفر جولد سميث ص390:

(وقد لوحظ أن الذئاب تتعقب المحاربين، فتأكل القتلى والجرحى، حتى إن الذئب إذا ما اعتاد على ذلك، يفضل أكل لحوم الرعاة بدلاً من الأغنام).

وفي الصفحة نفسها قال:

(إن الذئب مصاب بالنهم إلى لحم الإنسان، وربما- لو كان قوياً بما فيه الكفاية- لن يأكل شيئاً آخر سواه).

الإنسان

صور من اعتداء الذئب على الإنسان

انتصب الذئب كالعمود، وعيناه متَّقدتان، أمام الرجل، وكشّر عن أنيابه... ابتدأ الرجل يشعر بضيق في التنفس، ولم يستطع الحِراك، وبعد بضع ثوان ابتدأ كل منهما في التحرك نحو الآخر، وقد حافظ الذئب على هيئته، وهو يتقدم نحو الرجل، ثم جمع كل قواه، وانقض على الرجل، وخبطه

في صدره بيديه. تعارك الاثنان، وتطارحا أرضاً. صاح الرجل صيحة، اختلطت بزمجرة الذئب. وظل الاثنان كأنهما شيء واحد لبضع ثوان وهما يتدحرجان، راحت مخالب الذئب تنغرس في جسد الرجل. وقد قطع الذئب أصبعين من أصابع يد الرجل اليمنى، كما مزق إبطه الأيسر تمزيقاً تاماً، ثم قبض الذئب على حلق الرجل، وأخذ يقطع فيه، وهو يتجرَّع غَصَّات الموت الأخيرة، ويرتجف رجفة الموت، ثم سقط ميتاً.

وعلى الرغم من أنه كان جائعاً، فلم يأكل من الرجل.

تسلل ذئب إلى المزرعة، وقبض على الطفل بين فكيه، وانطلق به إلى الغابة، حيث أكله.

هاجمت الذئاب أحد المارة، فاستل سيفه، وقتل بعضها. ثم انسحبت بقيتها، وبعد ذلك أطمأن الرجل، فأعاد سيفه الملطخ بالدماء إلى غمده، فالتصق السيف داخل الغمد. وقد عادت الذئاب ثانية لمهاجمته، فلما حاول إخراج سيفه، صعب عليه ذلك، فراحت الذئاب تمزقه وتفترسه.

يحكى أن رجلاً في أمريكا الشمالية هاجمته الذئاب، فأنقذ نفسه منها بالتلويح بهراوته.

إن أقاصيص مثل هذه كثيرة في الرواية الروسية الترويكا The troika.

مناقشة

يشعرنا تشابه تلك الروايات على أنها من نسيج واحد. ويمكن النظر في ذلك في ضوء التالي:

1- أن هناك حيواناً آخر هاجم الإنسان، فاعتُقد أنه الذئب.

2- أن موت إنسان ما بسبب السكتة القلبية، يُعزى كثيراً إلى الذئب.

3- مبالغات الخيال، والإفراط في الحساسية ضد الذئب، وتراكم الأكاذيب والاستفادة من ترويج الشائعات، هي من مظاهر الفترات السابقة.

4- ما يبعثه عواء الذئب من رعب، وارتباط ذلك بفكرة الذئب والشيطان، كانت من عوامل تلك الأخبار.

5- عدم التمييز بين الذئاب الصحيحة السليمة والذئاب التي تعرضت لمرض السُّعار.

6- يمكن افتراض أن الذئاب في فترات المجاعة، حاولت تذوق طعم الإنسان على أساس أنه نوع من الفرائس، مما جعل ذلك طعماً سائغاً لها.

7- اعتياد الذئب على أكل الجيف ربما سهل لها بعد ذلك الاعتداء على الإنسان.

8- إنه من الصعب قبول اعتداء الذئب على الإنسان، ذلك الإنسان الذي خبِر عداوته الضروس له، أن تتحول خبرات الذئب إلى كونه من ضمن فرائسه، والذئب من الحيوانات التي تميِّز بين ما يُفترس وما لا يفترس.

9- أنه لو حدث ذلك، فإنه يحدث في حالات المجاعات فقط. ويبقى هذا غير صحيح حتى تثبت الوقائع العلمية صحته.

10- ويجادل بعض العاملين الميدانيين مع الذئاب، بأن الذئب مسالم بطبيعته نحو الإنسان، وأن حوادث القتل المنسوبة إلى الذئب، سببها الإنسان نفسه، فالرجال خلَقوا جوّا موحشاً تجاه الذئب، بحيث أصبح تبادل الاتهام أمراً عادياً بين الذئب والإنسان، فالذئب حيوان يتمتع بحساسية مفرطة، وذكاء حاد، وقدرة على تقدير المواقف؛ ومن هنا، فإنه يلجأ إلى العنف الدموي للدفاع عن النفس، نتيجة التحرّش به، أو أنه يتبيَّن في وجه الطرف الآخر وملامحه وحركاته وسكناته، الغدر والعدوان، وهما الصفتان

اللتـان ألصقهما الإنسان نفسه بالذئب، بدلاً من نسبتها إلى نفسه؛ ولذلك، فـإن الذئب لا يجد بداً من التعامل بالمثل، خاصة أن هذا الموقف السلبي من الذئـب تجاه الإنسان، إنما يقع مـن الذئب الأعلى؛ لأنه يتمتع بروح الاعتزاز والتفـوق والإباء، وهـي معانٍ لا تسمح لـه بالتردد أو التراجـع إزاء التحدي أيـاً كان، فخبرة الذئب مع الإنسان خبرة طويلة مريرة. ولعل قصص القتل المنسوبة للذئب، إنما هي سوء ترجمة لمشاعر الطرفين في أول لقاء.

11- ومما ذكره فـارلي مـوات في بحثـه Never Cry Wolf، الذي جاء في كتـاب Men and the Animal World، أنه وُجد في روث أحد الذئاب أزرار نحاسيـة، وهو يقـول: إن هذا يجب ألا يُتخذ دليلاً علـى أن ذلك الذئب أكل بحّـاراً؛ لأن التقاريـر الموثقـة لم تسجـل أن ذئاب شمال كنـدا تقتل البشر، وإن كانـت هناك حالات يكـون فيها الإغراء قوياً إلى حـد عدم القدرة على مدافعته.

12- وقد يعود هجوم الذئب على الإنسان، لما ينتاب الإنسان من خوف، فيفرّ مـن أمام الذئب مغرياً الذئب بالهجوم عليه، كما يفر الطفل من أمام كلب، فيتبعه الكلب، ولو وقف الإنسان مكانه، لأصبح الموقف متردداً.

ويمكـن أن يُلاحظ أن الذئب يهاجم مـن يلتصق بقضبان الحديد الحاجزة بينه وبين مشاهديه، وما زال هذا الأمر يحتاج إلى تفسير.

وأخـيراً، فبعد التعايش الطويل مع الذئاب، فـإن أخبار اعتداء الذئاب على الإنسان، ما زالت تأتي مقصورة على بعض المناطق في العالم القديم، خاصة روسيا، والصين، والهند، والشرق الأوسط.

الفصل الثالث عشر

صيد الذئب

الفخ

إن أشهـر وسيلة قديمة مـن وسائل صيد الذئاب هي الفخ. وقد يسير أحياناً ذئبان متلازمان في مسارهما، مما يسهل على واضعي الفخاخ صيد أحدهما أو كليهمـا. وإذا ما اصطيد أحدهما، فإن الآخر كثيراً ما يقف بحذائه، مما قد يوقعه هو في الحبالة أيضاً، وإن كانت الذئاب الصغار أكثر عرضة للوقوع في الحبائل من الكبار.

السموم

وأشهر مـادة منها هي الأستركنين Strychnine، وهي مادة سامة تستخرج مـن جوز القيء Nuss vomica bean، ويرش عليها ما يجعل الذئب ينخدع به وهـو Lacing. وتعد السموم من أخطر وسائل القضاء على الذئاب، فهي تأتي على مجموعة كبيرة منها على عكس الفخ.

الحبوب

تستخـدم الحبـوب أو أية مادة هلاميـة تغلّف بالشحم، خاصـة في الأوقات البـاردة، وتوضع تحت عظـام بقرة، أو تحت صخرة، أو تحت قطعة خشبية، وعندما تشم الذئاب رائحته تذهب سريعاً لالتهامه.

التصويب

باستخدام آلات الصيد الحديثة ومن أهمها الرمي.

المطاردة

لجـأ الإنسان في الوقـت الحاضر إلـى استخدام الطائـرات لتحديد مواقع الذئـاب واصطيادها، وتؤدي المطاردة بالطائرة إلى موت الذئب قبل إطلاق

النـــار عليه، وربما اصطدمت الطائرة بالذئب في حالة التهور بالاقتراب من الذئب، فيؤدي ذلك إلى قتل قائد الطائرة.

ولا شـــك أن تجـــارة بيع الفِـــراء ذات تأثير كبير في دفع النـــاس إلى اصطياد الذئاب.

ترويض الذئاب

ابتدأت ممارسة هواية ترويض الذئاب تأخذ طريقها عند بعض الناس، وقد نجح كثير من تلك المحاولات التي أصبحت مثار دهشة كبيرة للآخرين.

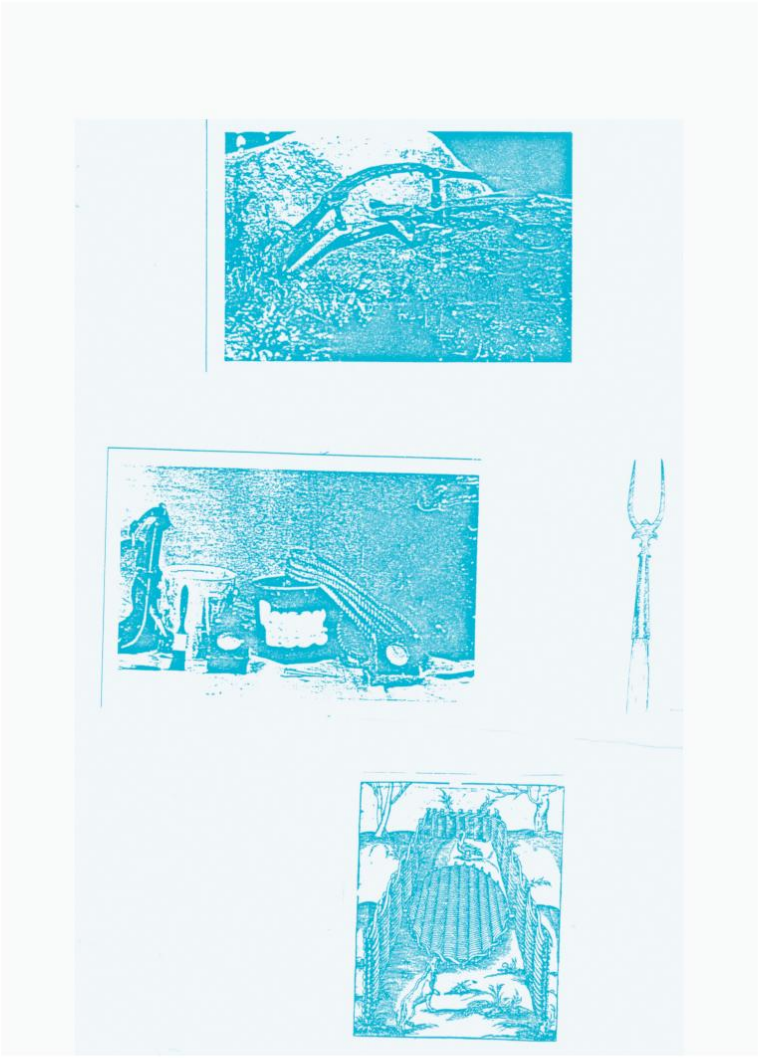

بعض أدوات صيد الذئب

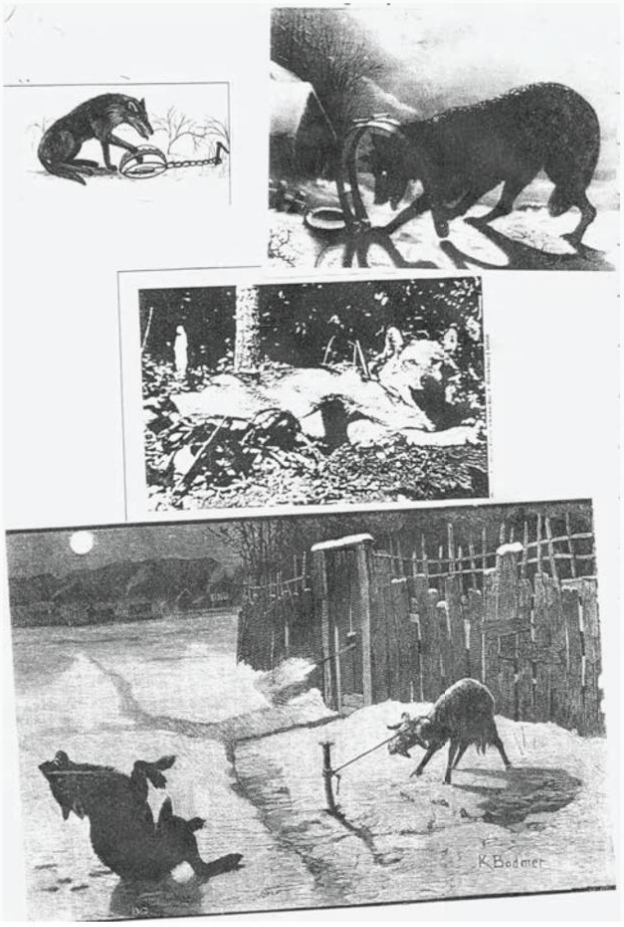

ذئب في مصيدة

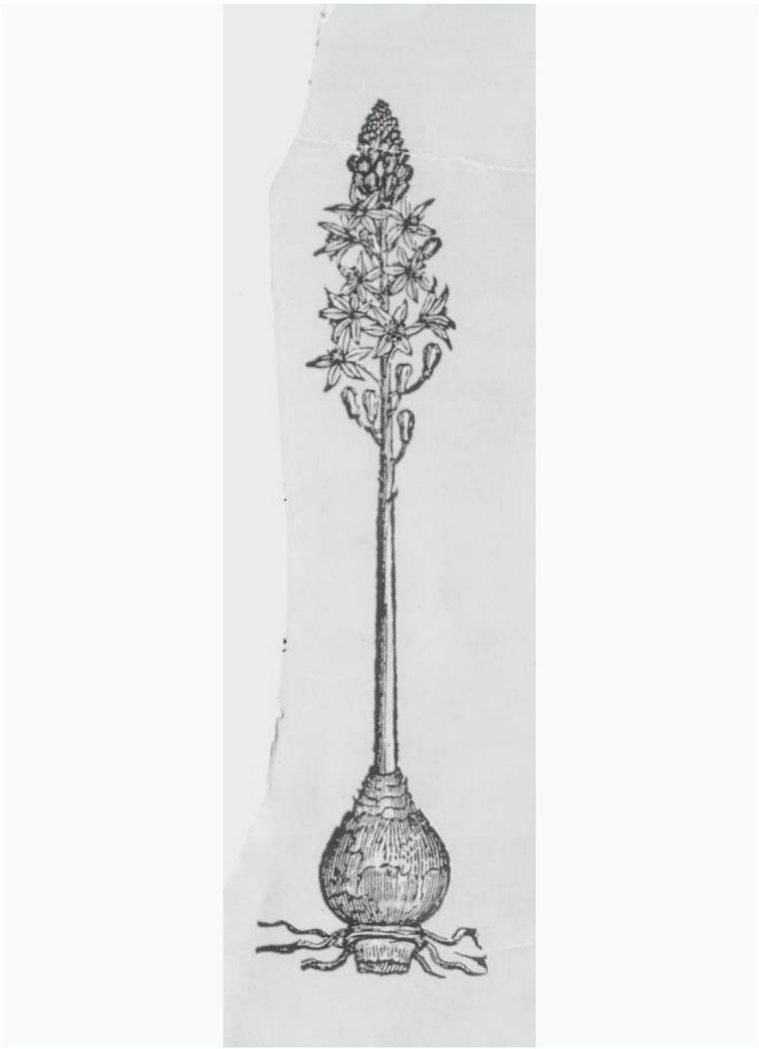

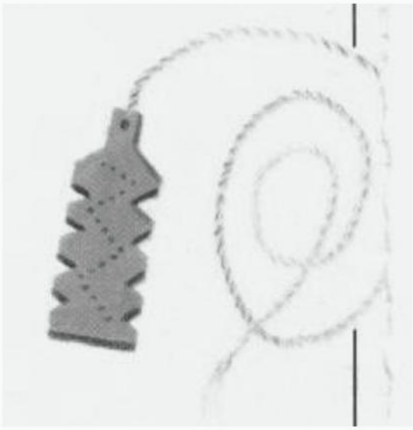

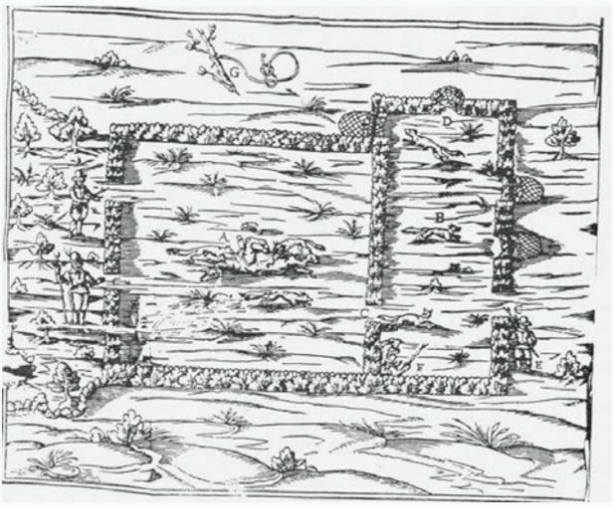

انقراض الذئاب

كانت الذئاب موجودة في أسكتلندا حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، ويقال: إن آخر ذئب قتل سنة (1743م)، وقد ساعدت إزالة الغابات على تعرضه للخطر.

ومنذ العصر البلاستوسيني كانت الذئاب موجودة بكثرة في إيرلندا، واستمر وجودها حتى (سنة 1357م-1387م). وعلى الرغم من أنه في (سنة 1652م) وُضعت في إنكلترا جوائز نقدية، لمن يقتل أو يقبض على ذئب، فإنها لم تنته تماماً إلا (سنة 1821م)

وقد انقرض الذئب من إنكلترا منذ القرن السادس عشر الميلادي، كما اختفت الذئاب كلية من جرينلاند منذ (سنة 1933م)، نتيجة نقص الغذاء.

وانقرضت الذئاب اليابانية، خلال الثلاثين سنة الماضية. وانقرضت الذئاب

من نـوع أنتاركتيك Antarcticwolvs من جـزر الفولكلاند التي وُجدت بها بشكل كثيف.

وقتـل آخر ذئب في الدنمارك (سنة 1772م). وفي السويد قتل سنوياً ما بين السنـوات (1827 – 1839م)، حوالي 500 ذئب، ثم تناقص العدد إلى 100 ذئب (سنة 1860م).

أمـا فنلندا التي تفد إليهـا الذئاب من شمال أوروبـا، والنرويج، فإن أعداد الذئـاب ابتدأت في التناقص بشكل ظاهـر، حتى إنه في (سنة 1860م)، لم يعـد في المناطق الجنوبية أي ذئب، ولهذا أصبـح الذئب محاصراً في البلاد الإسكندنافية في المناطق الشمالية منها.

أدى ازديـاد ممارسـة صيد الذئـاب في المرتفعات الجبليـة في وسط أوروبا وجبـال الألـب إلـى انقراض الذئاب منهـا، حيث قُتل آخر ذئـب في منطقة غابـات بافاريـا في ألمانيا (سنـة 1847م). وكان منح الجوائـز مغرياً، ففي سنـة 1871م) مُنحـت جوائز لمن يقتل ستة وعشريـن ذئباً في كوبلنز Ko-blenz بألمانيـا. وفي (سنـة 1888م) قتل آخر ذئـب إيفل Eifel، وفي منطقة سارلنـد Saarland قتل آخر ذئب (سنة 1891م). ثم انقرض الذئب نهائياً من جنوب جبال الألب.

أمـا في فرنسا، فتأخـر انقراض الذئب، لتوافر الغـذاء. ولم يقتل آخر ذئب في الألزاس Alsace إلا في شتـاء سنتـي (1910 – 1911م) وكانت الذئاب كثـيرة في جنوب فرنسـا حتى الحرب العالميـة الثانية. وهنـاك إفادات عن وجـود ذئـاب بعد ذلك، إلا أنـه يحتمل أن هذه هي من نـوع كلاب الساتيان Nsatians التي تركتها الجيوش الألمانية.

وفي أمريـكا الشمالية كانت الذئاب تشكّل خطـراً للمستعمرين يوازي خطر

الهنـود الحمر، فراحوا يقضـون عليها بالسموم أو الفخـاخ، ولهذا، اختفت كليـاً في نهاية القـرن التاسع عشر من المسيسبي، ثم اختفـت كلياً أيضاً من غرب أمريكا الشمالية (سنة 1930م).

وكانـت الجوائز الممنوحة لمن يقتل ذئباً في أمريكا، ذات تأثير كبير في إقبال الناس على ذلك.

وفي إسبانيـا كان هنـاك تشجيـع حتى مـن المتخصصين في علـم الأحياء، للقضاء على الذئاب، خاصة لارتباط ذلك بالأخبار عن قتلها للأطفال. ومع ذلـك، فإن أكبر أعـداد الذئاب ما زالت موجودة فيمـا كان يعرف بالاتحاد السوفيتي.

ونتيجـة لإقبـال الناس على مطـاردة الذئاب وقتلها، فـإن بعض الحكومات عمدت إلى فرض قوانين من أجل حمايتها.

وعندمـا يصاب الذئب برصاصة ويحاط به، فيُضرب بالعِصي، لا يعوي كما يفعل الكلب، ولكنه يقاوم بصمت، ويموت موتاً صامتاً. ذلك أن الذئب عندما يقع في المصيدة، يصاب بالدهشـة والذهول، فيموت حَنَقاً، أو يستسلم دون مقاومة تذكر لآخذيه، فيُكَمَّم، ويُجَرّ، دونما هياج أو اضطراب.

استنساخ الذئب

ذكرت صحيفة الجزيرة:

(ماتـت أول ذئبـة تمّ استنساخها في العـالم في إحدى حدائق الحيوانات في عاصمة كوريا الجنوبية، سِول، ونقلت وكالة أنباء كوريا الجنوبية (يونهاب) أمـس الثلاثـاء عـن الطبيـب البيطري شـين نام سيـك، من جامعـة سِول الوطنيـة، القول: إن الذئبة نفقت في 26 أغسطس الماضي. وكان فريق تحت

إشراف شين وزميله لي بيونج شان قد قدَّم في مارس عام 2007 أول ذئبتين تم استنساخهما في العالم. وهما (سنوولف) و(سنوولفي). وذلك بعد عام ونصف من استنساخهما، وقال شين: إن (سنوولف) ماتت فجأة، مؤكداً أن الذئبة كانت في حالة صحية جيدة قبل نفوقها... وكان فريق شين قد استنسخ عام 2006 ثلاثة ذئاب ذكور).

المصادر والمراجع

المراجع العربية

الحيـاة الفطريـة في المملكة العربيـة السعودية (الثدييـات)، خالد بكر كمال (جـدة: مطابع شركة المدينة المنورة، أولى، 1410هـ /1990م)

- كتـاب نباهة الحيوان، ترجمة س- ط تعليق: عبداللطيف شرارة (بيروت: دار ابن خلدون 1985م) عن أصل قديم غير معروف.

صحيفة الجزيرة، ع13488 (الأربعاء 1430/9/12هـ/ 2009/9/2م) ص46.

المراجع الأجنبية

Amazing Wolves, Dogs & Foxes, Mary ling (Italy: A. Mondadori Editore, 1991).

Arabian Mammals, Jonathan Kingdon, (Bahrain: Government Press, 1990).

Dangerous Animals, Susan lampkin (London: Macdonald Young Books, 1995).

Der Ruf der Wolfe, R.D. Lawrence (Germany: Albert Muller Verlag, 1987).

Der Wolf, D.I. Bibikow (Wittenberg Lutherstadt: A. Ziemesn Verlag, 1988).

Der Wolfs Mensch, Werner Freund (Kassel: J. Neumann Neudamm, 1988).

Great stories of Men and the Animal world, V.1 (Hong Kong: Toppan printing Co. ltd, 1985).

Keine Angst Worm bosen Wolf, Laura Bour (Munchen: Sudwest Verlag, 1978).

Mammals of the Arabian Gulf, David, L. Harrison (Surrey: Biddles ltd, 1981).

Man and Wolf, H. Frank (Dordrecht: Dr W. Junk, 1987).

Maing wolves dogs foxes, mary ling (London: Arabian mammals. jonathan kinjgdom, (Bahrain:government press,1990)

Painted Wolves, Jonathan Scott (London: Hamish Hamilton Ltd, 1991).

Samson unser wolf, Britta Rothausen (Hannover: Handbuch Verlag, 1979).

The Call of the Wild, White Fang (U.S.A.: Penguin Classics, 1986).

The Order of wolves, Richard Fiennes (London: Hamish Hamilton ltd, 1976).

The Soul of the wolf, Michael W. Fox (Boston: Lyons & Burford, 1980).

The Way of the Wolf, L.David Mech (Shrewsbury: Swan Hill Press, 1991).

The Wolf: His Place in the matural world, Erid Zimen, tr. Eric Mosbacher (London: Ouvenit, 1981).

The Wolf in the southeast, David E. Brown (Arizona: The unv. Of Arizona press, 1983).

The Wolf: The Ecology and Behavior of an Endangered Species, L. David Mech (New-York: The Natural History Press, 1970).

White Wolf, Jim Brandenburg (Lanark: Colin Baxter photography ltd, 1992).

Wolf, Diana Landun (Kentucky: The Nature Co. 1993).

Wolf and Man, Roberta L. Hall & Henry S. Sharp (New York: Academic press, 1978).

كمـا كانت الذئـاب مـادة للحكايات الشـعبية، فإنها تعد محطة غنية بالمعلومات من خلال البحوث عـن حياتهـا البيولوجيـة، والدراسـات العلمية عن سلوكها. وقد قام الدكتور أدولف موري عام 1940م في ألاسكا، بأول محاولة في البحث العلمي الجاد في حيـاة الذئاب، ثـم توالت الدراسات حتـى أصبحنا الآن على إدراك أفضل مما مضى.

ويأتـي هذا الكتاب ليتناول تفاصيل مثيرة، بدءاً مـن استعراض العصـور الجيولوجيـة قبـل وجود الذئب، حتـى نصل للحظة الاكتشـاف الجيولوجي للذئـب. ليطلعنا الكاتب في رحلة قـراءة ماتعة على أنواع الذئاب وترتيبها الطبقـي وهيئاتها وحالاتها، مع تخصيص فصل للذئب العربي، وأماكن وجوده وهيئته وميزاته مقارنة مع الذئاب الأخرى في أماكن مختلفة من العالم.

هـذا الكتـاب لم يقتصـر علـى المـادة العلمية، فهناك محطـات أخرى مشوقـة، خصوصاً في تلك الفصـول التـي تتحـدث عـن الحيـاة الاجتماعيـة للذئـاب، وعلاقـة الذئـاب بالحيوانـات الأخـرى والطيور الجارحة. والأكثر إثارة ما نجده في الفصل قبل الأخير عن علاقة الذئب بالإنسان .